في ظلال الإسلام (١٠)

الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين

المفكر الإسلامي

الدكتور محمد عمارة

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٥٧٠٤
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7852-9

١ / ٢٠١٣ / ٣٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

تصميم الغلاف: أيمن القاضى

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الجديد في المخطط الغربي
تجاه المسلمين

قائمة المحتويات

مقدمة ٧

١ـ نحن والغرب ١٣

ـ قضية الأقليات ٢٩

ـ التجزئة ٣١

ـ التنصير ٣٢

ـ حوار حول المحاضرة ٤٥

ـ أسئلة على المحاضرة ٥٨

٢ـ الهجمة الأمريكية على الإسلام ٦٣

ـ الرئيس الأمريكي « جورج بوش ـ الصغير » يعلنها حربًا صليبية . ٦٥

ـ توالي التصريحات غير المسئولة ! من « المسئولين » الغربيين ، ذوي التأثير في « صناعة القرار » الغربي ٦٧

ـ تجاوز التدخل الأمريكي حدَّه في شؤون التعليم الديني بالبلاد العربية والإسلامية ٧٣

ـ أشهر كتّاب ومُفكّري الاستراتيجية في أمريكا يُعلنوها صريحة لا مواربة فيها : حَرْبٌ داخل الإسلام ٧٧

ـ ماهية الحَداثة الغربية ، التي يُريد الغرب فرضها على الإسلام وثقافته ، والتي تصاعدت حدتها بعد « قارعة ١١ سبتمبر » .. ٨٤

نماذج « العمالة الحداثية للغرب » وألوان الهجوم على الإسلام وتعاليمه ٨٥

* * *

مُقَدِّمَة

إنَّ صراع الطمع الغربي في الشرق له تاريخ قديم وطويل .. وعبر هذا الصراع ـ الذي بلغ عمره الآن ما يزيد على أربعة وعشرين قرنًا ! ـ منذ الإسكندر الأكبر [٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق . م] ـ في القرن الرابع قبل الميلاد ـ وحتى الآن ـ في القرن الواحد والعشرين .. عبر هذا الصراع القديم والطويل :

اتحدَتْ أهدافُ الغربِ ومَطَامِعُه في الشرق ..

وتعدَّدت واختلفت وتجددت الوسائل والأساليب والصُّور في هذا الصراع .. بل إننا إذا تَعمقنا في فقه وقائع هذا التاريخ سنجد أن التغيير إنما كان يحدث في « صور » الوسائل والأساليب ، وليس في « جوهر » هذه الوسائل والأساليب !

• لقد احتل **الإغريق والرُّومان والبيزنطيون** الشرق عشرة قرون ، بدأت من « الإسكندر الأكبر » ـ في القرن الرابع قبل الميلاد .. ودامت حتى « هرقل » [٦١٠ ـ ٦٤١م] ـ في القرن السابع للميلاد ..

وفي هذه القرون العشرة ، كان النهب الاقتصادي لثروات الشرق هو المقصد الأول والأعظم من وَرَاء هذا الاحتلال .. فتحوَّلت ـ مصر .. مثلاً ـ إلى « سَلَّة غِلال » لروما .. وكان المواطن المصري يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان والبيزنطيين !

ولتأييد وتأبيد احتلال الأرض ونهب الثروات ، سَلَك المحتلون سُبُلا عديدة :

– لقد أقاموا المستعمرات اليونانية ـ استعمارًا استيطانيًا لقهر الأَهالي ، وحماية الاحتلال .

– وفَرَضوا الوثنية اليونانية الرومانية على الشرق ـ في عصر وثنيتهم ـ فلما

تَنَصَّروا ، فرضوا نصرانية بولس ـ الملكانية ـ على التوحيد النصراني ، وعلى الآريوسية ، والمذهب اليعقوبي للنصاري الشرقيين .

– كما أحَلُّوا ثقافتهم الهلينية بدلا من ثقافة الحضارات الشرقية .. وذلك لاحتلال العقل الشرقي ، كي يتأبَّد احتلال الأرض ونهب الثروات .

فلما انتفض الشرق تحت رايات الإسلام ، وخرجت جيوش الفتوحات الإسلامية لتحرير الشرق من غزوة الإسكندر .. وتحررت الأوطان والعقائد والضمائر وتحوَّل الشرق إلى قلب العالم الإسلامي ، تعيش فيه ـ بحرية ـ سائر العقائد والمذاهب والشرائع والفلسفات والديانات ـ عاد الغرب الطَّامع ـ مرة ثانية ـ إلى احتلال الشرق تحت أعلام الصَّليب ، فتحالفت الكنيسة الكاثوليكية مع فرسان الإقطاع الأوربيين ، وبتمويل من المُدن التجارية الأوربية ـ بيزا .. ونابلي .. وجنوة ـ لإعادة احتلال الشرق ، واختطافه من التحرير الإسلامي ..

ويومها أفصح « البابا الذهبي ـ أوربان الثاني » [١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م] ـ الذي أعلن هذه الحرب الصليبية ، التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠ هـ ١٠٩٦– ١٢٩١م] عن ذات المقاصد العليا لهذه الحرب « المقدسة » .. فالهدف ـ كما جاء في خطابه إلى فرسان الإقطاع الأوربيين ـ « ليس اكتساب مدينة واحدة ـ [القدس] ـ بل هي أقاليم آسيا بجملتها ، مع عتادها وخزائنها العديمة الإحصاء ـ [أي التي لا تحصى] ـ .. إنها الأرض التي تفيض لبنًا وعسلا ! .. والمخصبة ، المشابهة فردوسا سماويًا .. فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم ، فالمُلك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا » !!

* وإذا كان الإغريقُ والرُّومانُ قد اتخذوا من الثقافة الهلينية ومن النصرانية الرومانية الملكانية حوافز ووسائل وسُبُلا لاحتلال العقل الشرقي ودعم الاحتلال .. فلقد تحدَّثَ « البابا الذهبي » ـ لفرسان الإقطاع الأوربيين ـ عن

« مفاتيح الجنة » ـ المفاتيح البطرسية ـ .. وعن « خزائن المكافآت السماوية الأبدية » .. وعن تطهير الأيدي والذنوب بدماء المسلمين !! .. تحدَّث عن كل ذلك ، سُبُلا ومُحَفِّزَاتٍ لاحتلال الأرض ونَهْب الثروات !

* وكما اتخذ الإغريقُ والرُّومانُ من الاستعمار الاستيطاني والمستعمرات اليونانية ركائزَ محليةً لحراسة احتلال الأرض ونَهْب الثروات .. سلكت الغزوة الصليبية ذات الطريق ـ مع تغيُّر في الصور والأسماء ـ .. لقد أغرَوا قطاعات من نصارى الشرق بخيانة الوطن والحضارة ، فانخرطت ـ هذه القطاعات ـ في مواكب الاحتفالات الصليبية بغزو القدس [٤٩٢ هـ = ١٠٩٩م] ، والمجزرة الصَّليبية التي أبادت أهلها ! .. وكانت الإمارات الصليبية التي أُقيمت على أرض فلسطين والشام هي الاستعمار الاستيطاني ، الحارس لاحتلال الأرض ونَهْب الثروات .. بل لقد تحالفت الصليبية مع الوثنية التترية ضد الإسلام لِتَدْعَمَ اختطافَ الشرقِ من التحرير الذي أنجزه الإسلام !

وفي الغزوة الغربية الحديثة ، التي بدأت قبل خمسة قرون ، في ذات العام الذي أُسقطت فيه « غرناطة » ، واقتلع الإسلام من الأندلس [٨٩٧ هـ = ١٤٩٢م] .. بدأت ـ هذه الغزوة ـ بحملة « كريستوف كولمبس » [١٤٥١ ـ ١٥٠٦م] للالتفاف حول العالم الإسلامي ، وجَمْع الذَّهب لإعادة احتلال القدس ـ بحملة صليبية جديدة ـ واختطاف الشرق وثرواته من جديد .. فلما ضلَّ « كولمبس » طريقه ، وذهب إلى أمريكا ـ بدلا من جزر الهند الشرقية ـ جمع الذهب من هناك ، وعاد فكتب إلى ملكي إسبانيا « فردناند » [١٤٧٩ ـ ١٥١٦م] و « إيزابيلا » [١٤٧٤ ـ ١٥٠٤م] وإلى البابا « إسكندر السادس » [١٤٩٢ ـ ١٥٠٣ م] طالبًا تجهيز الحملة الصليبية لتحقيق ذات المقاصد الغربية من وراء احتلال الشرق ـ تحت ستار الدين ـ ..

وكان « البرتغاليون ، بقيادة « فاسكو دي جاما » [١٤٦٩ - ١٥٢٤ م] قد سلكوا ذات الطريق - طريق رأس الرجاء الصالح - إبَّان وجود « كولمبس » بأمريكا - عندما خرجت جيوشهم - بعد إسقاط « غرناطة » بخمس سنوات [٩٠٣ هـ ١٤٩٧ م] - فالتفوا حول إفريقيا ، وشنوا حروبهم ضد الإسلام والمسلمين في الفلبين وعلى شواطئ الهند ، مُعْلِنين عن المقاصد والوسائل في شعار واحد : « التوابل .. والمسيح » ! .. وبالفعل ، استولوا على التوابل ، وحولوا طريق التجارة الدولية بين آسيا وأوربا بعيدا عن العالم العربي - قلب العالم الإسلامي - .. وزرعوا النصرانية في أطراف العالم الإسلامي - في الفلبين .. والهند .. وأندونيسيا - لتقوم المسيحية الغربية بحراسة النهب الغربي لثروات عالم الإسلام .

فلما حان حين اقتحام هذه الغزوة الغربية الحديثة لقلب العالم الإسلامي - وطن العروبة - جاءت الحملة الفرنسية ، بقيادة « بونابرت » [١٧٦٩ - ١٨٢١م] لاحتلال مصر والشام [١٢١٣ هـ ١٧٩٨م] .. وأعلن بونابرت - وهو في طريقه من « مرسيليا » إلى « الإسكندرية » عن عزمه على تجنيد ٢٠,٠٠٠ من أبناء الأقليات المسيحية في مصر والشرق ، ليكونوا ركائز المشروع الإمبراطوري الذي سبق وحلم به الإسكندر الأكبر .. والبابا الذهبي .. والملك - القديس - « لويس التاسع » [١٢١٤ - ١٢٧٠م] .. ويومها حققت الحملة الفرنسية الكثير من النجاحات على هذا الصعيد :

فالخائن القبطي « المعلم يعقوب حنا » [١٧٤٥ - ١٨٠١م] الذي يُسميه « الجبرتي » [١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ = ١٧٥٤ - ١٨٢٢م] « يعقوب اللعين » قد جنَّد فيلقًا قبطيًا ضَمَّ ٢,٠٠٠ شاب قبطي ، حاربوا مع جيش الحملة الفرنسية ، الذي قتل ١/٧ الشعب المصري - ٣٠٠,٠٠٠ من شعب كان

تِعْدادُه يومئذ أقلَّ من ٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة !

وكان الأقباط ونصارى الأروام والشَّوَام ، لا يتعاونون - فقط - مع جيش الحملة الفرنسية وإدارته ، وإنما يحتفلون - عَلَنًا - بانتصارات هذا الجيش في غزة ويافا - على أرض فلسطين !

بل لقد عهد إليهم الجنرال « كليبر » [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] أن يفعلوا بالمسلمين ما يشاءون .. فتطاولوا - كما يقول الجبرتي - على المسلمين بالسَّب والضرب .. وصَرَّحوا « بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين » !

وأعلنوا أن هدفهم هو سلخ مصر من العروبة والإسلام ، وإلْحاقِها بالغرب ، تحت حراب الاستعمار !

وكما تحالفتْ صليبيةُ العصورِ الوسطى مع الوثنية التترية ضدَّ الإسلام والمسلمين ، بدأ بونابرت فألقى حبال الشراكة إلى الأقليات اليهودية - رغم عداء المسيحية لليهود - كي يتحالفوا مع الغرب ضد الإسلام - الذي تفرَّد باحتضانهم عبر التاريخ !

* * *

هكذا بدأتْ مَلْحمةُ هذا الصراع - صراع الطمع الغربي في الشرق وثرواته - وهكذا تَوَالت الصور المتعددة للوسائل التي توسَّلَ بها هذا الغربُ الاستعماريُّ لتحقيق ذاتِ الأهداف : احتلال الأرض .. ونَهب الثروات .

لقد اتَّحَدَت المقاصد .. ووقف الجديدُ والتجديدُ عند « صُوَر الأساليب » التي يتوسَّل بها الغربُ الاستعماري كي يحتلَّ الأرضَ وينهبَ الثروات ..

وفي ضوء هذه الحقيقة ، نرى المَشْهدَ الراهنَ في وطن العروبة وعالم الإسلام :

النهب الغربي للثروات ، التي استخلفنا الله فيها ، وأمرنا أن لا نؤتيها للسفهاء !

والقواعد العسكرية الغربية ، التي تُدَنِّسُ الأرضَ التي حرَّرَها صحابةُ رسولِ الله ﷺ بأزكى الدماء!

والحلف الصَّليبي الصهيوني ، الذي أقام « أُمَّ القواعد الغربية » ـ الكيان الصهيوني ـ على أرض الإسراء والمعراج ، التي بارك الله فيها وحولها ! .. والتغريب ، الذي يُغَالِبُ الصحوةَ الإسلامية ، لاحتلال العقل ، كي يتأيد ويتأبد احتلالُ الأرضِ ونهبُ الثروات .

ولأن الله غالب على أمره .. فلن تعدم هذه الأمة الولود أن تَلِدَ ـ من رَحِم الإسلام ـ العلماءَ والأُمراءَ والفرسانَ الذين يُواصلون طريقَ الجهاد ، تلك التي لَخَّصَ مَعَالمها الناصِرُ صلاحُ الدين الأيوبي [٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ ـ ١١٩٣م] عندما قال للملك الصليبي « ريتشارد قلب الأسد » [١١٥٧ ـ ١١٩٩م] : « **وأَما هذه الأرض ، فلن يقوم لكم فيها حَجَر واحد طالما استمر الجهاد** » ! .. وفي إطار هذا « الجهاد الفكري » نُقَدِّم هذا الكتابَ ـ صفحةً من صفحاتِ « الوعيِ بالتاريخ » .. سائلينَ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتقبَّلَه خالصًا لوجهه .. وأن ينفعَ به .. إنه خيرُ مسئولٍ وأكرمُ مجيب .

دكتور

محمد عمارة

القاهرة : المحرم سنة ١٤٣١هـ

يناير سنة ٢٠١٠ م

١

نحن والغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين ، سيد الخلق محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ، ومَن اهتدَى بهديه إلى يوم الدين . أيها الإخوة والأخوات ، سلامُ اللهِ عليكم ورحمته وبركاته .

موضوعُ حديثِنا في هذه الليلة عن « **الجديد في مخططات الغرب تجاه المسلمين** » ، وهذه القضية ليستْ كغيرها من القضايا الفكرية التي نَعِيشُها في بُطُونِ الكتبِ والمذكِّرات والمحاضرات ، وإنما هي قضيةٌ تعيشُها الأمة ، لا على مستوى المشاعر والأحاسيس ، بل على مستوى الدماء التي تَنْزِفُ على كثير من أرض الإسلام والمسلمين ، وأنا لا أعتقد ـ حتى بالنسبة للذين لا يهتمون كثيرًا بأمور الفكر والسياسة ـ أنَّ هناك مسلمًا في عالم الإسلام لا يعيش هذه القضية ، وحتى الذين كانوا يُفَكِّرُون في موقف الغرب من الإسلام والمسلمين .. أعتقد أنه في السنوات الأخيرة بَدَأَتْ علاماتُ الاستفهامِ تَكْبُرُ وتَنمُو في أذهانهم حولَ هذه المخططات الغربية تجاه الإسلام والمسلمين .

في بداية هذا الحديث أود أن أتوقف عند بعض النقاط . كثيرون يتحدثون عن أن المسلمين يبالغون في الحديث عن موقف الغرب من الإسلام والمسلمين ، وفي تقديري أرى أنه قد آن الآوان لنضع القضية وضعها الطبيعي ، فالمسألة ليست موقفنا نحن من الغرب ، وإنما موقف الغرب منا ومن الإسلام ، بمعنى أنه معروف أن الإسلام يعترف بالتعددية في الشرائع والألسنة والألوان والقبائل والشعوب ، ومن ثم في

الحضارات ، وهذه التعددية سُنَّةٌ من سنن الله ، وقانونٌ من قوانين الكون والاجتماع البشري التي لا سبيل إلى تبديلها أو تحويلها . فما عدا الذات الإلهية فإن كل شيء يقوم على التعدد وعلى الازدواج ، وهذه التعددية - التي هي قانون الرؤية الإسلامية - هي التي جعلت المسلمين يؤمنون بتعدد الحضارات والشرائع والقوميات ، سواء على مستوى العالم ، أو حتى داخل الأمة الإسلامية . فهناك أوطان وقوميات وأقاليم وأمة إسلامية وإنسانية ، وهذا التعدد وهذا التعايش لم يكن مجرد موقف نظري من الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وإنما أصبح شيئًا قائمًا متجسدًا ، يشهد عليه وجود الملل والنحل والقوميات والأعراف واللغات في إطار الأمة الإسلامية .

بينما الذي حدث في دول الغرب أن التعددية كانت مرفوضة ، ليست التعددية الدينية فقط ، بل وحتى التعددية المذهبية في ظل الدين المسيحي الواحد ، والحروب الدينية مشهورة في تاريخ الغرب ، بل إن الاحتفالات كانت تقام شكرًا لله على قتل المخالفين في المذهب الديني في كثير من بلاد الغرب ، وقصص الاضطهاد للمذاهب الدينية في إطار المسيحية قصص شهيرة .

وإذا كنا نحن أصحاب الإيمان بالتعددية ، فمن الطبيعي ألا نُسأل الأسئلة الاستنكارية حول موقفنا من الآخر ، وإنما القضية التي نعيشها - ليس على المستوى الفكري وإنما على المستوى العلمي - هي موقف الآخرين من الإسلام والمسلمين . كذلك من النقاط التي يحسن أن نتوقف عندها هي : أننا كلما تحدثنا عن موقف الغرب منا ، رُفعت

الأعلام واللافتات تحذرنا من أن نقع في منطق المؤامرة . فيقولون : إن هذا منطق المؤامرة في سير التاريخ وعلاقات الأمم !! وأنا أقول : إن القضية ليست في حاجة إلى أن نناقش ، هل هناك مؤامرة أم لا ؟ ؛ لأنه إذا كان الغرب يُعلن أن الإسلام هو العدو ، وإذا كان يمارس في أرض الواقع وبالتجربة وبالدماء التي تسيل بسبب هذه السياسة العدائية للإسلام ، فهل نحن بحاجة إلى أن نقول : إنها مؤامرة أو لا مؤامرة ؟ فالمؤامرة تعني أن هناك أمورًا وائتمارًا في السر ، وتدبيرات في الخفاء ، أما إذا كان الآخر يعلن بكل إعلام وإعلان أن الإسلام هو العدو ، ويمارس في التطبيق هذا الإعلان ويُبيد المسلمين ، فلسنا في حاجة إلى أن نحذر ونقول : إن هذا منهج المؤامرة في الحديث عن موقف الغرب من الإسلام والمسلمين !

إذا كنا بصدد الحديث عن الجديد في مخططات الغرب تجاه المسلمين ، فيحسن أن نذكر بعض التواريخ التي تفسر لنا أمورًا كثيرة . فأحيانًا تكون بمثابة الخريطة المجسدة التي يستطيع الإنسان أن يلمس بها سير أحداث هذا التاريخ . إن الصراع بين الشرق والغرب صراع قديم ، وغزوة الأسكندر الأكبر احتلت « الشرق » قبل الميلاد ، وهزمت الدولة الفارسية التي كانت أبرزَ القُوَى الموجودة ، ونعلم أن هذه الغزوة (الإغريق ثم الرومان) زحفت إلى مختلف بقاع الشرق (شمال إفريقيا ومصر والشام والحبشة واليمن ، وكادت أن تصل إلى وسط شبه الجزيرة العربية في غزوة الفيل ، التي ولد رسول الله ﷺ في نفس عامها) .

ونعلم أن الفتوحات الإسلامية كانت في جوهرها حروب تحرير الشرق من هذه الغزوة الرومانية ، حتى إن شعوب الشرق - وهي على دياناتها القديمة - وقفت تحت راية الفتوحات الإسلامية تحريرًا لهذا الشرق من ذلك الاحتلال ، ونعلم أيضًا أنه لم تكن هناك فتوحات إسلامية دار فيها الحرب والقتال بين جيش إسلامي وبين شعب من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون ، فعندما جاء المسلمون إلى مصر كانت حربهم مع الروم ، ونفس الشيء كان في الشام ، بل ونعلم أن أهل الشام - وهم على نصرانيتهم - دفعوا الجزية لعبيدة بن الجراح ، وعندما تقهقر جيشُ المسلمين رد المسلمون إليهم الجزية ؛ لأنهم أخذوها حماية لهم من الرومان ، ولما عجزوا عن حمايتهم ردوا إليهم مقابل الحماية .

إذن فالحرب في الفتوحات الإسلامية كانت تدور ضد بقايا وصور الهيمنة والغزوة الإغريقية الرومانية ، ولم تكن بين المسلمين وبين شعوب البلاد التي فتحها المسلمون . ونعلم أن لغة المصريين لم تعد هي اللغة الهيروغليفية القديمة ، بل صارت لغتهم أجنبية ، حتى إن كلمة قبط نفسها كلمة يونانية ، أي أن هُوِيَّة مصر مُسِخَتْ ، ولم يكن الحكمُ في مصر للأقباط ، حتى الديانة النصرانية في مصر ظلت ديانة مضطهدة يتوارى بها أهلُها في الكهوف والجبال والصحاري ، إلى أن جاء المسلمون فأمنوهم وأعادوهم إلى بلادهم وبيوتهم ، بل وردوا إليهم كنائسهم التي كانت مغتصبة من البيزنطيين ؛ ولذلك اعتبر فقهاؤنا أن كنائس مصر جميعها بُنيت في ظل الإسلام ، واعتبروها من آثار تحرير البلاد وعمرانها .

إذن لم يكن الحكم ـ لا في الشام ولا في مصر ولا في البلاد التي فتحها المسلمون ـ حكمًا بيد شعوب هذه البلاد ، ولا بيد نصارى هذه البلاد . وعندما حُررت المنطقة جاء الغرب مرة ثانية في ظل الحروب الصليبية كي يستعيد ، فكان الصراع وكأنه موجات . حيث جاء الغرب منذ ١٠٩٦م ؛ ليحتل المنطقة مرة أخرى تحت شعارات دينية ، وكلنا قرأنا خطاب البابا الذهبي في أمراء الإقطاع الغربيين يدعوهم إلى أن يحتلوا الشرق ليأخذوا ما فيه من سمن وعسل وخيرات ، واستمرت الغزوة الغربية تحتل قطاعات من قلب وطن العروبة وأمة الإسلام نحو قرنين من الزمان حتى عام ١١٩١م ، عندما تحررت البلاد نهائيًا من آثار تلك الغزوة .

كما نعلم فإنه بعد هزيمة الموجة الصليبية ، فتحت الدولة العثمانية القسطنطينية التي ظلت حتى تاريخ فتحها (١٤٥٣م) هي المركز والمعقل لتجييش الجيوش ضد الدولة الإسلامية ، ومن هنا كان فتح القسطنطينية حُلْمًا من أحلام الدولة الإسلامية منذ الدولة الأموية ، وعندما فتحت بقيادة محمد الفاتح بدأ الإسلامُ يدخلُ أوربا ، فبعد فتحها بعشر سنوات دخل الإسلامُ إلى البوسنة والهرسك ، وبدأ الغربُ أمام هذا التقدم الإسلامي يُركز جهوده لاقتلاع الإسلام من غرب أوربا (الأندلس) ، فإذا كانت القسطنطينية فتحت (١٤٥٣م) ، فسنجد أنه في ١٤٩٢م سقطت غَرْناطة وأُخْرج المسلمون من بلاد الأندلس .

سقوط غرناطة لم يكن نهاية مطاف الضغوط الغربية ضد عالم الإسلام ؛ لأن صحوة وتجديد العثمانيين لعسكرية الدولة جعلت

الغرب منذ خمسمائة عام يُخطط التخطيط الآتي :

فقد قرر أن يلتف حول عالم الإسلام ويُطَوِّقه عن طريق رأس الرجاء الصالح ؛ من أجل الوصول لضرب قلب العالم الإسلامي (الدولة العثمانية) ، الذي تنامت قوته العسكرية بعد اضمحلال في عهد المماليك . **وهذا هو الذي يشير إليه في دلالة الأحداث في السنوات التاريخية الآتية :**

فقد **سقطت غرناطة ١٤٩٢م** ، في نفس العام ، وفي أغسطس بالتحديد بدأت رحلة كولمبس ، الذي لم يكن مجرد مكتشف أو عاشق للمكتشفات وكان همه اكتشاف جزر الهند ، لكنه أخطأ وذهب إلى أمريكا . لا لم يكن مجرد هذا فقط ، وإنما كان يقصد الالتفاف حول العالم الإسلامي ، وكان في سفن رحلته مسلمون مكبلون بالسلاسل ليكونوا أدِلاءَ ومترجمين لحملته الاستكشافية ، ومع ذلك لم يستطع أن يلتف حول العالم الإسلامي ، بل أخطأ طريقه إلى أمريكا . وجاءت بعده حملة فاسكوداجاما الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧م (الاكتشاف كان جديدًا بالنسبة لهم) ، كل هذا بعد ٥ سنوات فقط من سقوط غرناطة .

عندما ذهب البرتغاليون إلى الهند ، كانت إسلامية ، وكانت تُحكم حكمًا إسلاميًا في ذلك التاريخ ، ولم يكن الوعيُ غائبًا عند حكامنا المماليك ؛ وإنما كانوا يدركون أنها حركة التفاف حول العالم الإسلامي ، ليس فقط لتحويل طرق التجارة (وهو باب من أبواب

الذبول الاقتصادي للعالم الإسلامي) ، وإنما كانوا يدركون المخاطر الاستراتيجية التي يتغيها الغرب ؛ ولذلك لم يكن غريبًا أن تخرج الجيوش المملوكية من مصر لتقاتل البرتغاليين في الهند في ذلك التاريخ ، وهُزمت الجيوشُ المملوكية في ١٥٠٤م أي بعد اكتشاف رأس الرجاء بأقل من ٧ سنوات .

أقول : إن بعضنا لا يُدرك لماذا بدأ العثمانيون - بعد أن كانوا متوجهين إلى أوربا - لماذا بدأوا يوجهون جهودهم إلى العالم العربي ، وإدراك المخاطر والتحديات الخارجية تُفسر هذا التحول ؛ لأنه إذا كان المماليك قد هزموا في ١٥٠٤م ، وبدأت تتضح مخاطر هذا الالتفاف ، فليس غريبًا أن يأتي العثمانيون - وهم يُدركون هذه المخاطر - في ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧م كي يضموا إليهم هذا الكيان الإسلامي الكبير الذي ضعفت عسكريته المملوكية ، وأصبح مهددًا بهذا الالتفاف ، وكان الفتح العثماني في ١٥١٦م ، وجاءوا إلى مصر ١٥١٧م . ومع ذلك لم تنته قصة التفاف البرتغاليين حول بلاد المسلمين بعد هذا الانتصار الذي حققوه ، إذ نجد الفلبين التي كانت بلادًا إسلامية (كانت مانيلا اسمها أمان الله) ، قد ذهب إليها ماجلان (الذي ندرسه على أنه مكتشف) ليحارب الإسلام والمسلمين ، ومات هناك سنة ١٥٢١م في قتال ضد المسلمين .

بعد هذا الالتفاف بدأت مرحلة ضَرْب قلب العالم الإسلامي ، والتواريخُ خيرُ شاهدٍ ، فنجد بونابرت الذي جاء إلينا في عام ١٧٩٨م ثم فريزر في ١٨٠٧م ، والجزائر احتُلت في ١٨٣٠م ، ثم عدن ١٨٣٨م ،

ثم تونس ١٨٨١م ، ثم مصر ١٨٨٢م ، ثم ليبيا ١٩١١م ، ثم المغرب ١٩١٢م ، ثم عموم البلوى في سيكوس بيكو التي قسمت ما بقي من عالمنا العربي سنة ١٩١٦م ، ثم الذروة عند سقوط الرمز (الدولة العثمانية) في ١٩٢٤ م . إذن ، صراع الغرب مع الإسلام بدأ منذ خمسمائة عام لطرد الإسلام من أوربا ، ولبدء هذه الغزوة الصليبية التي استُهلت بالالتفاف حول العالم الإسلامي حتى جاءت العشرينيات وعقب الحرب العالمية الأولى ، فَأُعْلِن سقوط كافة أنحاء العالم الإسلامي تقريبًا أمام الهيمنة الغربية . هذا الصراع لم ينته عند هذا الحد ، بل دخلنا في إطار الصراع حول الهوية ، وتلك هي المعركة القائمة حتى هذا التاريخ .

فبعد أن احْتُلَّتِ الأرضُ وانتُهِبَتِ الثروةُ ، وأصبحتِ الأرضُ هامشًا للأمن الاقتصادي والسياسي والعسكري للغرب ، أُلحقنا بالمركز الغربي حتى في الأسماء ، فأُطلق علينا وعلى بلادنا الأسماء ذات الدلالة على موقعنا من التبعية له ، فما هو قريب منه يصبح الشرق الأدنى ، وما هو متوسط يصبح الشرق الأوسط ، وما هو بعيد يصبح الشرق الأقصى . ومعركة الهوية هي أخطرُ المعارك ؛ لأن الأمم يمكن أن تنهزم في العديد من المعارك ، لكنها إذا احتفظت بهويتها معنى ذلك أنها تحتفظ بإرادتها المستقلة ، وأنها تسعى لامتلاك وسائل القوة لتحرير الأرض والاقتصاد ولمنع الغزو العسكري ، أما إذا فقدت الأمةُ هُوِيَّتَها ، فإنها تستسلم ، وهنا تكون النهاية ؛ لأن الإلحاق والتبعية يعني ذبول الخصوصية ، أي ذوبان هذا الذي استسلم ، في ذلك الذي طغى وتجبر ، ولذلك فالمعركة بدأت منذ سقوط الخلافة العثمانية على نحو غير مسبوق .

والمعركة حول الهوية جعلت للغرب ـ ليس في بلاده فقط وإنما في بلادنا أيضًا ـ تيارات فكرية وأحزابًا وجمعيات ومؤسسات بحثية وفكرية وجامعات ، كلها أصبحت مصانع تضرب عقولنا على النمط الغربي ووفق المناهج الغربية ؛ سعيًا وراء تذويب هوية الأمة ليكون الاستسلام استسلامًا أدبيًا . فالمقصود بمعركة الهوية هي زوال الهوية المتميزة للأمة الذي فيه تأييد وتأبيد لهذه التبعية التي يريدها الغرب لعالم الإسلام .

وفي ظل المرحلة التي بدأت بسقوط الخلافة وعموم بلوى الاحتلال ، حدث في العالم الغربي متغير هو ظهور الثورة البلشفية ١٩١٧م ، وهذا بالنسبة لعالم الإسلام يمثل انقسامًا في صفوف الأعداء ؛ لأن الغرب الذي توحد ١٨٤٠م ضد محمد علي حينما حاول تجديد شباب الدولة العثمانية ـ كما صنعت الدولة العثمانية مع الدولة المملوكية ، والتي جعلت منها أوربا « رجل أوربا المريض » ـ استطاع أن ينفذ إلى العالم الإسلامي عن طريق عدة ثغرات بالامتيازات الأجنبية والاحتلال واقتطاع الأقاليم الإسلامية ، واجتمعت أوربا رغم تناقضاتها ضد مشروع محمد علي ، وكانت معاهدة لندن وتنفيذها في ١٨٤٠م ، وإجبار الجيش المصري على التراجع من الشام وحصر مصر في داخل حدودها الإقليمية ، ثم ضرب هذه التجربة وتصفية هذا البناء المادي الذي أقامه محمد علي ، وحتى عندما أرادت الثورة العرابية أن تسد ثغرات الاستبداد بالحرية والبرلمان والديمقراطية والدستور ، جاء الغرب واتفق ضد هذه الثورة باحتلال مصر في ١٨٨٢ م ، نفس الشيء صنع بالتناقض الذي افتُعل بين الشريف حسين والسلطان العثماني ، والتهموا مشروع السلطان العثماني

والشريف حسين كليهما .

نعود مرة أخرى لظهور الثورة البلشفية والانقسام في داخل الحضارة الغربية وفلسفتها الاجتماعية ، حيث تعلق رسالة التقدم على طبقة من الطبقات ، فالليبرالية علقوها على البورجوازية ، والشمولية الماركسية علقوها على الليبرالية ، والاثنان يتفقان في المنهج الطبقي لكنهما يختلفان في الانحياز إلى طبقة من الطبقات . حدث هذا الانقسام على مدى ٧٠ عامًا ، وزاد هذا الانقسام بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن كان الاتحاد السوفيتي دولة واحدة أصبح معسكرًا كاملًا ، وهذا أدى إلى أن بأس الغرب في جزء كبير منه أصبحت قوته موجهة إلى إطار غربي ، فحلف الأطلنطي موجه إلى حلف وارسو والعكس صحيح ، وهذا خَلَقَ هامشًا بين النقيضين ، استطاعت حركات التحرر الوطني في كثير من بلاد العرب والمسلمين أن تستفيد من هذا ، لذلك شهدنا موجة من الاستقلال عقب الحرب العالمية الثانية ، حينما أصبحت الاشتراكية معسكرًا ، وليست مجرد دولة يحيطها الستار الحديدي .

الذي حدث في السنوات الأخيرة - والذي يطلق عليه المتغيرات الدولية - هو في حقيقته متغيرات غربية في إطار الحضارة الغربية أعادت ترتيب البيت الغربي ، فهذا الانقسام الذي قام على مدى سبعين عامًا بين النظام الماركسي الليبرالي انتهى ، وسقطت المنظومة الماركسية واتجهت دولها إلى الطريق الليبرالي مرة أخرى ، وهذا التغيير يمثل منعطفًا جديدًا علينا أن ننظر إليه نظرتنا إلى المتغير الذي حدث في الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة . فقد كنا بعد الحرب العالمية

الأولى أمام متغير جعل الغرب تعم بلوى احتلاله عالمنا الإسلامي ، بعد ذلك استفدنا من التناقضات داخل الحضارة الأوربية التي جعلت جزءًا كبيرًا من بأس الغرب في داخل الدولة الأوربية . الآن وبعد الانقسام ـ وبتعبير جورباتشوف ـ : « **إن هذا المتغير أعاد ترتيب البيت الأوربي** » . والحضارة الغربية الآن تتصاعد هيمنتها وقوتها في صورة غطرسة القوة على نحو لا يحتاج منا إلى حديث ، فما يحدث بالنسبة للعالم الإسلامي ـ في هذه اللحظات وفي السنوات الأخيرة ـ يجسد عودة الوحدة والقبضة الغربية في مواجهة الجنوب ، والإسلام في مقدمة هذا الجنوب .

في هذه المرحلة التي بدأ الغرب فيها يعلن ـ بصريح العبارة ـ أنه بعد سقوط إمبراطورية الشر الشيوعية ، فإن الإسلام وأمته وعالمنا هو العدو الجديد ، وحينما سُئل وزير خارجية إيطاليا ـ وهو أيضًا في نفس الوقت رئيس المجلس الوزاري للمجموعة الأوربية ويتحدث باسم أوربا ـ : ما المبرر لوجود حلف الأطلنطي بعد انتهاء حلف وارسو ؟ نجده يقول : « **المواجهة القادمة مع العالم الإسلامي** » . وكيف السبيل لتجنب هذه المواجهة ؟ نجده يقول أيضًا : « **أن يصلح الغرب من شأنه ، وأن يقبل الآخرون النموذج الغربي ، وإلا فسيكون العالم في وضع شديد الخطورة** » . أي : أننا إما أن نُسلم في هويتنا وإرادتنا وخصوصيتنا الحضارية والثقافية والعقدية ، وإلا فسيكون حلف الأطلنطي موجهًا ضد أمتنا !!

وتكتب مجلة شؤون دولية ـ وهي مجلة متخصصة أكاديمية وتصدر في لندن ـ ملفًا عن الإسلام والماركسية ، والإسلام والمسيحية ، وتقول

في هذا الملف الذي نشرته في يناير ١٩٩٠ م : « **إن الغرب والفكر الشائع في الغرب ـ وليس مجرد دائرة من دوائر الغرب ـ يرى أن العدو الجديد هو الإسلام ؛ لأن الإسلام أثبت أنه حالة استثنائية في مقاومة العلمنة ، فرغم العلم الحديث والتصنيع ، استعصى الإسلام على العلمنة ، ولا يزال الإيمان الديني عند أهله قوي السيطرة ، بل إنه اليوم أشد ما كان منذ (١٠٠ عام) ، ومن ثم فإن الثقافة الإسلامية هي التحدي الوحيد للحضارة الغربية التي تتصف بالشك والتحلل واللاأدرية** » .

إذن لسنا نحن الذين نقول : إن الغرب يكشف من ضغوطه ويتخذ من الإسلام عدوًا ؛ لأن مفكري الغرب هم الذين يعلنون ذلك ، وإذا كان هذا الملف هو النموذج لكتابات المفكرين ، فأعتقد أن كثيرين منا قرأوا ـ حتى أعلامنا ـ نقلًا عن مراكز السياسة الغربية ـ الكثير من الدراسات والتقارير التي تتحدث عن هذه القضية ، بل وقرأنا كتاب نيكسون الذي ترجم ونشر بالقاهرة ، وكيف تحدث عن العالم الإسلامي ، قائلا بأن **العالم الإسلامي ثلاثة تيارات** :

التيار الأول : سماه التيار الرجعي (القومي) ، وهو رجعي ـ في نظر نيكسون ـ لأنه يحلم بوهم الوحدة العربية .

التيار الثاني : هو التيار التقدمي ويدعو الغرب وأمريكا إلى أن تدعمه وتساعده ، ونموذج هذا التيار نجده في تركيا العلمانية ، ويورد نيكسون على لسانه : « **إن تركيا تسعى لربط العالم الإسلامي بالغربي سياسيًا واقتصاديًا ؛ لأن هذه هي التقدمية** » .

أما **التيار الثالث** : فسمَّاه النموذج المُخيف ، ويقصد به النموذج

الأصولي ، قال عنه : « هؤلاء الأصوليون ينطلقون من الماضي ، لكنهم لا يعيشون في الماضي ، بل عيونهم على المستقبل ، هؤلاء ليسوا محافظين بل هم ثوار ، يريدون الإسلام دينًا ودولة ، ويريدون تطبيق الشريعة الإسلامية ، ويريدون بعث الحضارة الإسلامية من جديد » . وهو يدعو حلف الأطلنطي لمواجهة هذا التيار .

تلك كانت نتائج المتغيرات التي حدثت ، والتي جعلت هناك جديدًا في مخططات الغرب ؛ لأن مخططات الغرب مخططات تاريخية ضد الإسلام والمسلمين وضد عالم الإسلام ؛ لأن القضية ليست مجرد خوفهم الفكري من الإسلام ، وإنما هناك أبعاد كثيرة ؛ كالموقع الجغرافي لعالم الإسلام والكنوز الاقتصادية التي يمتلكها العالم الإسلامي على مدى مساحة أكثر من ٣٥ مليون كيلو متر مربع من غانا إلى فرغانة ـ كما كان يسميه مهدي السودان ـ أي من حوض نهر الفولجا في الشمال إلى جنوب خط الاستواء ، والبشر الذين يشكلون ٢٣ ٪ من سكان العالم ، وسيكون هذا التعداد سنة ٢٠٠٠ نحو ٢٧ ٪ من سكان العالم .

أما لو نظرنا إلى الخريطة الدينية لهذا الكوكب الذي نعيش فيه ، فسنجد نصف العالم يدينون بديانات وثنية وضعية في كل من الصين والهند واليابان وغيرها . والنصف الآخر ديانات كتابية سماوية ، نصف هذا النصف (أي ربع العالم) هو الإسلام الذي يحقق لهذه الأمة وحدة العقيدة والحضارة ووحدة دار الإسلام ، التي هي عقيدة من عقائد الإسلام ، على حين أن بقية نصف الكتابيين نرى بينهم المذاهب

التي تعلو حواجزها إلى درجة أنها تجعل منها ديانات متعددة ، هذا يجعلنا ندرك قيمة الأمة الإسلامية وطاقاتها المعطلة حتى الآن ، ونبصر أسباب خوف الآخرين من الإسلام والمسلمين .

لا أريد أن أطيل في الحديث عن النماذج التي تشير بالوقائع إلى هذا الجديد في مخططات الغرب تجاه الإسلام والمسلمين ؛ لأننا ـ وكما قلت في البداية ـ نعيش بل نغرق في دمائنا ، في حاجة لمن يحدثنا فكريا عن هذا الجديد في هذه المخططات .

وعندما ننظر إلى نموذج مثل نموذج البوسنة والهرسك ، سنرى ـ لأول مرة في التاريخ ـ شعبًا يُساق إلى الاستشهاد في ظرف زمني بسيط !! هذا لم يحدث للهنود الحمر ، فقد قتلت بعض أفراد الهنود ، ثم أتى القتلة ببعض الملابس والبطاطين والأدوات الموبوءة بالمكروبات والسموم ، فحصلت الإبادة البطيئة لكثير منهم ! وكان العالم لا يرى هذه الأمور ، فلم تكن وسائل الاتصال تجعل هذه المأساة أمام نظر الناس في التلفاز أو الإذاعة أو الصحف ليل نهار ، إنما الآن نرى شعب البوسنة والهرسك يُساق إلى المقصلة وإلى الشهادة . ولم يحدث في تاريخ البشرية أن أقيمت معسكرات الاغتصاب لعشرات الآلاف من النساء ، فلا النازية صنعت ذلك ولا حتى الفاشية .. هذا الذي يحدث أمام بصر وسمع الدنيا جديد ، ولسنا في حاجة إلى أن نتحدث عن الجديد في المخططات الغربية من وجود مثل هذه الفظائع التي يرتكبها الغرب ضدنا ، **ومع ذلك أشير إلى بعض النقاط :**

١ ـ قضية الأقليات

منذ بداية غزوة الغرب الصليبية حاول أن يستميل بعض الأقليات الدينية في الشرق لتكون موطئ أقدام له وثغرات لنفوذه ، ولم يحقق نجاحا يذكر في ذلك التاريخ ، ومنذ بداية الغزوة الحديثة (غزوة قلب العالم الإسلامي) اقترن الغزو بهذا المخطط . فقد جاء نابليون ١٩٧٨ ميلاديًا ، وذهب إلى عكا في العالم التالي ، وهو يحاصر عكا ومن أسوارها أصدر أول نداء إلى يهود العالم ، يدعوهم إلى مؤازرة فرنسا في إقامة امبراطوريتها الشرقية في نظير أن يعيد إليهم ملك بني إسرائيل ، ومنذ ذلك التاريخ رمى الغرب بالخيط ، والتقطته الحركة الصهيونية ، وهذا يكشف لنا أن الكيان الصهيوني والمشروع الصهيوني ليس في الأصل مشروعًا يهوديًا ؛ لأن اليهود عاشوا في ظل الحضارة الإسلامية كما لم يعيشوا في حضارات أخرى ، فإذا كانوا في كل الحضارات مثلوا « جيتو » استعصى على الاندماج ، إلا أنهم وصلوا بالتسامح وبالتعددية التي يتصف بها الإسلام إلى أن يندمجوا في الحضارة الإسلامية . ونذكر أن الآجرومية العبرية كتبت على نحو الآجرومية العربية وقت أن كان اليهود بالأندلس ، وعَرُوض الشعر العبري تأثر بعروض الشعر العربي ، وفلاسفتهم كانوا تلاميذ لفلاسفة المسلمين ، أي أن اليهود لم يشهدوا اندماجًا وألفة كما حصل لهم في ظل الحضارة الإسلامية ، وإنما المشروع الصهيوني والكيان الصهيوني مشروع غربي بدأ كجزء من المخططات الغربية ، وما اليهودية والصهيونية فيه إلا شريك أصغر في هذه الشراكة بين الغرب والأقليات التي سعى إليها في قلب وطننا ، كي

تكون هناك منافذ ومواطئ أقدام له .

إذن قضية الأقليات يُعلق عليها الغرب آمالًا كبارًا في هذا التصعيد الذي يحدث بينه وبين عالم الإسلام ، وعندما نتحدث عن الأقليات ، ليس المقصود الأقليات الدينية غير الإسلامية ، سواء أكانت يهودية أم مسيحية نصرانية ، بل وحتى الأقليات الإسلامية ، فالغرب يلعب بالأكراد ، والأكراد مسلمون سُنَّة ، ويلعب بالشيعة وهم مسلمون ، والبربر وهم مسلمون ثم مالكيون . إذن علينا أن نضع في حساباتنا قضية الأقليات كثغرة من الثغرات التي يُصَعِّد الغرب هجومه علينا من خلالها . ونحن نشهد الآن ، كيف استطاع أن يضرب نموذجًا صالحًا للتعميم ، فدولة مثل العراق ، وحينما تنزع سيادتها من على أجزائها الشمالية أو الجنوبية بحجة الأقليات ، فسنجد أن هذا نموذج صالح للتعميم ، ومن هنا تبرز أهمية هذه الأقليات في حسابات المشروع الإسلامي الذي هو في جوهره ـ منذ جمال الدين الأفغاني ـ حركة مقاومة لهذا المد الغربي .

وقضية الأقليات عندما نتحدث عنها ، ليست ـ كما قلت ـ أن هذا نصراني وهذا يهودي ، القضية أيضًا ليست هذا كردي وهذا عربي ؛ لأن صلاح الدين كان كرديًا ، لكن تاريخه ومعركته كانت ضد الغرب، فإذا جاء كردي آخر وكان عميلًا لإسرائيل فلا يشفع له أنه كردي ومسلم وسني ، ونفس الشيء بالنسبة للشيعة الذين بدأوا ثورة ١٩٢٠م في العراق وتصدوا للغزوة الاستعمارية ، لم يشفع لأي شيعي ـ مهما كانت تقواه ، ومهما كانت مظاهر تدينه ـ أن يكون في خندق

الأعداء ؛ لأن حقيقة الردة في المصطلح الإسلامي أنها جزء من الحرابة ، وأنها انتقال من معسكر المسلمين إلى معسكر الشرك ، بل وخروج على الجماعة وموالاة العدو الذي يخرجنا من ديارنا ويقاتلنا في الدين . فالأقليات التي تخرج عن إطار لبنة في جدار المقاومة لتصبح ثغرة في جدار المقاومة ، بصرف النظر عن عرق هذه الأقليات أو دينها أو مذهبها ، هذا لون من ارتدادها عن الجماعة والأمة ، وهذا هو تشخيصها في تقديري وفي نظر المشروع الإسلامي في ظل هذه المواجهة .

٢ ـ التجزئة

منذ « سيكس بيكو » وبعدها بسنوات شهدنا تلك التجزئة التي حدثت لأقاليم الدولة العثمانية ، والآن تصاعدت هذه التجزئة فما يحدث بالعراق ، الآن صنع في اتفاقية « سايكس بيكو » .

فكلنا نعلم أن « الموصل » كان المفروض أن تكون في سوريا ، و« ديل الزور » كان المفروض أن تكون في العراق ثم حدث تعديل ، فضمت انجلترا الموصل إلى العراق لاكتشاف البترول فيها ، وذهب « ديل الزور » إلى سوريا . كل هذا لأن العراق وضعت ضمن نصيب انجلترا (حدث كل هذا باتفاقية سايكس بيكو) ، كل هذه الأمور صنعها سيكس وبيكو في ١٩١٦م ، فلو قرأوا تاريخ « سايكس بيكو » وكيف تمت الموافقة على المعاهدة سرًا في ظل الاتفاق مع الشريف حسين ورسائل « كتشنر » له . فهل بعد ذلك يتهموننا بالمُبالغة في مسألة المؤامرة ؟!

ولننظر الآن إلى العراق الذي يتجزأ إلى ثلاثة أجزاء ـ وهذا مجرد

نموذج - فاليوم في ظل المتغيرات التي حدثت ، وفي ظل هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية ، وهيمنة أمريكا كقطب وحيد - على الأقل في السنوات القريبة المنظورة - جعلت الأمم المتحدة هي الولايات المتحدة ، وجعلت مجلس الأمن الدولي هو المجلس القومي الأمريكي ، أي أن أمريكا اليوم هي التي تلعب بالمؤسسات الدولية ، والتدخل في شؤوننا يسمونه حقًا !! فصحفهم تقول دائمًا : « **حق التدخل ...** » .

٣ - التنصير

وهنا أقف وقفة صغيرة حول هذا النموذج في تصاعد المد الغربي ، ففي الفترة الأخيرة وقع في أيدينا كتاب عبارة عن وثائق مؤتمر إرساليات وكنائس ومنظمات التنصير في الغرب ، الذي عقد في أمريكا في كلورادو ١٩٧٨م ، وفيه نجد ٤٠ بحثًا ومناقشاتها ، وموقف الغرب وجبهة التنصير ، فالغرب يواجهنا كجبهة ، وعلى هذه الجبهة ثغرات ، وكل فريق من فرقاء الغرب يقف على ثغرة من الثغرات ، فنجد المفكرين في الثقافة والعلوم الإسلامية كل منهم يقف على ثغرة مختلفة ، أيضًا التنصير جبهة من جبهات المقاومة في الغرب وتاريخه قديم في هذا الشأن . ووثائق المؤتمر تقول : إنه عندما بدأ التنصير كان هدفه تنصير المسلمين ، ولكن المسألة كانت أمامهم صعبة ، فبدأوا في اكتشاف واتخاذ مواطئ لأقدامهم في الكنائس الشرقية حيث بدأوا في تنصير مسيحيي الشرق وتحويلهم إلى المذاهب الغربية . وهنا نجد أن الكنائس الوطنية والشرقية كانت تقف ضد حركات التنصير ، ثم اتضح أن أول تحولات تجاه المذاهب الغربية كانت السياسة تلعب فيها دورًا ،

ففي عهد الود بين محمد علي وفرنسا يبدو أن محمد علي نصح بعض الأقباط بأن يتحولوا إلى المذهب الكاثوليكي ، فتحول غالي باشا (وزير مالية في عهد محمد علي) وأسرته وبعض الناس إلى هذا المذهب ، ثم حينما جاء الأمريكان وإرساليات التبشير ، تحول بعض الأقباط إلى المذهب البروتستانتي ، وتكونت الكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية ، ثم فتحت مدارس البنات والبنين ، ثم الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة وإسطنبول . ووثائق المؤتمر تتحدث عن أن الجامعة الأمريكية قامت في القاهرة على أساس تنصير المسلمين ، وكيف أن سوء الإدارة لم يجعلها تقوم بالمهمة التي قامت من أجل أدائها ، ونفس الشيء قالوه عن الجامعة الأمريكية في بيروت واسطنبول ، ثم يتحدثون بعد ذلك عن إحياء الكنائس الشرقية ، ويستخدمون عبارة « إحياء العظام الناشفة » في تعبيرهم عن إحياء تلك الكنائس ، باعتبارها عظامًا قديمة ومتعبة ويريدون بعث الحياة فيها ، لماذا ؟ لأن ضمن هذه المخطط محور يسمونه التنصير بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية .

فإذا كان الغرب ـ منذ نابليون ـ يبحث عن أقلية كي يخترق جدار المقاومة الشرقية ـ نجده الآن يصعد القضية ، فلم يعد هدفه تنصير بعض المسلمين ، بل الخطة الموضوعة تهدف لتنصير جميع المسلمين وطي صفحة الإسلام من الوجود ، وجهودهم تنطلق من خلال الكنائس المحلية وتشويه القرآن والثقافة الإسلامية ، والعمالة الدينية (مثلما يحدث في الخليج من تغيير التركيبة السكانية بإيجاد أناس غير مسلمين وغير عرب كي تُخلق إسرائيل جديدة في هذه المنطقة ،

والمنظمات الدولية تعطي حقوقًا لهؤلاء الغرباء ، ويتحول أهل الخليج إلى لاجئين فلسطينيين ويطردوا كرجال الانتفاضة !) ، ويقولون في هذا المخطط وفي إطار الجهود التي بُذلت : « ثبت أن الإسلام أرض وعرة صلبة ، وأن الطريق مسدود ، وأن مواجهة الكتاب والسنة لم يأت بنتيجة » . فبدأ الاختراق من الداخل بمعنى عدم مواجهة القرآن بل اختراقه ، ويبحثون عن المصطلحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية باعتبارها أوعية يصبون فيها المضمون النصراني ، فيعطون مصطلحاتنا معاني نصرانية مثل (روح الله ، كلمة الله ، المهدي) .

وتتحدث الوثائق أيضًا عن أن التنصير فشل ؛ لأنهم كانوا يقرنون المسيحية والنصرانية بالثقافة والحضارة الغربية ، ويقولون بصريح العبارة : « نظر المسلمون إلى النصرانية باعتبارها ديانة أجنبية ، ومن ثم رفضوها ؛ لأنها ديانة الأجنبي والمستعمر والرجل الأبيض » . ومن هنا يحاولون تقديم المضمون النصراني من خلال الثقافة الإسلامية ، لدرجة أنهم عملوا برنامجًا نصرانيًا (لرمضان ، ويدعون لقبول مسجد عيسوي يصلي فيه النصارى أو المتنصرون بركوع وسجود !! والأكثر من هذا أنهم يريدون لهذا الذي تنصر ألا يُنبذ من المحيط الإسلامي ، فيكون مسلمًا في الظاهر ونصرانيًا في المضمون !! ويعترفون بأن المنصرين كثيرون ولكن نسبتهم إلى نسبة العمالة المدنية في العالم الإسلامي تصل إلى نسبة ١ : ١٠٠ ، ويتحدثون عن برامج تدريب لهذه العمالة المدنية سواء كانوا من الفنيين أو العمال ، ويعقدون دورات تدريبية في الهند وباكستان والفلبين وسيرلانكا ، ويتحدثون عن

دور هؤلاء المدنيين في القيام بعمليات التنصير عند جلبهم إلى الدول العربية والإسلامية ، كما يتحدثون أيضًا عن التنصير عن طريق زرع النصرانية بين المهاجرين المسلمين في الدول الغربية ، ويقولون : إنهم يعيشون في مجتمعات غير إسلامية لا تمثل حماية لمعتقداتهم ، ومطلوب تعريفهم للفكر المادي والعلماني كتمهيد للتنصير ؛ لأن هذا الفكر يزعزع العقائد .

ثم يتحدثون عن دور المرأة المتميز كثغرة من ثغرات التنصير ، فيقولون إن مواجهة الكتاب والسنة كله عبث ، فلا الإنجيل ولا المقولات النصرانية قادرة على الصمود أمام الإسلام ، فيقولون : نريد الإسلام الشعبي ، إسلام العوام ، إسلام العفاريت والشياطين . فتقدم لهم النصرانية والمسيح باعتباره المخلص من العفاريت والشياطين !! ثم يتحدثون عن المرأة الشرقية المسلمة باعتبارها أكثر إيمانًا بمسألة العفاريت والشياطين .

أما عن مخاطر هذه الثغرة فسوف أقرأ عليكم بعض الفقرات من تلك الوثائق ، كي ندرك كيف أن هذه المؤتمرات والضربات التي يتعرض لها العالم الإسلامي ألوان من معالجة الصحوة الإسلامية كي لا تسد ثغرات الاختراق ، تمامًا ، كما عاجلوا مشروع محمد علي قبل أن يسد ثغرة الضعف في الجدار العثماني ، وعاجلوا الثورة العرابية قبل أن تسد ثغرة الاستبداد والتدخل الأجنبي .

إذن كما همت الصحوة الإسلامية بسد الثغرات المفتوحة أمام

التدخل الغربي يكون هناك تصعيد لضربات الغرب ، فقد عُقد مؤتمر كلورادو في ١٩٧٨م ، وكان في مقدمة أسباب انعقاده وتنادي المتنصرين لعقد هذا المؤتمر قولهم : « **إن المسلمين يستيقظون ، والأمثلة هي مظاهرات الطلبة المصريين في السبعينيات مطالبين بحكم الشريعة الإسلامية ، ومحاولات تقنين الشريعة الإسلامية في مصر في السبعينيات ، ومظاهرات إيران الطلابية قبل الثورة ، وتطبيق باكستان لأول دستور إسلامي** » . ويقولون أيضًا : « **يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات فيتبادلون الرأي ويعلنون بعض القرارات ، ثم ينفضون فتصبح قراراتهم حبرًا على ورق ، ولكن بعض المؤتمرات قادرة على تغيير مجرى التاريخ . فهذه هي المرة الأولى خلال جيلين - الجيل الأول هو جيل زويمر في أوائل القرن - التي يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى ليناقشوا عملية تنصير المسلمين** » .

ثم وهم ينتقدون أساليب التنصير القديمة يعترفون بأخطائهم فيقولون : « **لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة وبصورة جوهرية ، لقد كانت استراتيجية التنصير الأوربية الأمريكية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقلية الاستعمارية ، وأن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين** » .

ثم يتكلمون عن اختراق الإسلام ويقولون : « **إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية ، وإن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وسياسيًا ، إنه**

حركة دينية معادية للنصرانية مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر ، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز تؤسس حول العالم بوساطة النصارى للتركيز على الإسلام ، ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام وللتعامل النصراني مع الإسلام ، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء » . ثم يتكلمون ويقولون : « إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية ، وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التي تعمل داخل الكيان كله لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغير الطبيعي ، وبهذه الطريقة أيضًا يمكننا أن نستوعب في الحظيرة النصرانية مسلمًا نصرانيًا ، ولاهوتيًا إسلاميًا ، ومسجدًا عيسويًا ، وجماعة صوفية نصرانية ، ونمطًا تكرارًا من أنماط الإسلام النصراني المنظمة » .

وللأسف تتحدث هذه الوثائق عن أن مؤتمر « كلورادو » حضره مندوبون لجميع كنائس آسيا وإفريقيا (١١) ، وكان هناك صمت وتعميم مقصود عن هذا المؤتمر .. ويقولون : « لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل الكنائس والنصارى في العالم الإسلامي ، إن النصارى البروتستانت في الشرق الأوسط منهمكون بصورة عملية وعميقة ومؤثرة في عملية تنصير المسلمين ، ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم ، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معًا بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين » .

وعن العمالة المدنية يقولون : « على الرغم من وجود منصرين

بروتستانت من أمريكا الشمالية في الخارج أكثر من أي وقت مضى ، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصرين بأكثر من ١٠٠ : ١ ، وأن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضًا أن يعملوا من أجل المسيح ، وهذا أمر مهم وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني ، إنهم يستطيعون ويجب أن يتمموا عمل المنصرين ، وذلك بالعمل معا جنبًا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي » . ثم تكلموا عن الجاليات الإسلامية في الغرب فقالوا : « يتزايد باضطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب ، ولأنهم يفتقدون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية ، ويعيشون نمطًا من الحياة مختلفًا في ظل الثقافة العلمانية المادية ، فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر ، وإذا كانت تربة المسلمين في بلادهم هي بالنسبة للتنصير أرض صلبة ووعرة ، أفليس في الإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم ، حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية في تربة أوطانهم كمنصرين ؟ » .

نحن لا ننكر أن يدعو المسلم إلى دينه وكذلك النصراني ، ولكن إذا كان الدين هو قمة الخلق ، فالوسائل لا بد أن تكون ذات علاقة بالغايات ، فلا يمكن أن أتغيا قمة الأخلاق بوسائل لا علاقة بينها وبين الأخلاق ، فإذا كانت وسائل المنصرين لا علاقة لها بأي خلق لأي دين حتى لو كانت ديانات وضعية ، هنا تتضح القضية . فليس حبًا فينا لندخل الجنة التي يؤمنون بها ، وإنما القضية هي ابتلاع العالم الإسلامي والسيطرة عليه ، والخشية من هذه اليقظة الإسلامية التي ستعيد

الاستقلال الحضاري لهذا العالم الإسلامي ، ومن هنا تكلموا - في محور أساسي من محاور هذا المؤتمر - عن استغلال الكوارث المادية ، بل وضع هذه الكوارث كي تكون هناك اهتزازات تُخلُّ بتوازن الإنسان فيميل إلى تغيير دينه .

ولننظر إلى **نموذج « الصومال »** ، حيث صنعوا المأساة وحرسوها كي لا تعالج ، وشلوا حركة الجامعة العربية حتى لا تتحرك تجاه الصومال ، رغم أن الجامعة العربية اتخذت قرارًا منذ سنة لتكوين لجنة للصومال ، ولم تجتمع هذه اللجنة مجرد اجتماع ! فالغرض هو تجميد المؤسسات ، سواء كانت نظمًا أو مؤسسات إقليمية كي تنضج المشكلات والمآسي فتصبح جاهزة ، فإذا كان السودان قد نجح في التضييق على مؤسسات التنصير المسماة بهيئات الإغاثة ، فلا بد من خلق مكان آخر في القرن الإفريقي - من وجهة نظرهم - يكون مهيئًا لاستقبال هؤلاء المنصرين ، فقضية صناعة الكوارث المادية تجعل توازن الإنسان مختلًا ، ويقولون : إنه لا يمكن أن يحدث تحول إلى النصرانية إلا إذا حدثت هزة في توازن هذا الإنسان ، والعبارة أبلغ حينما نقرأها حيث تقول : **« لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية ، فلا بد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع أفرادًا وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها ، وقد تأتي هذه الأزمات على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب ، وقد تكون معنوية كالتفرقة العنصرية أو الوضع الاجتماعي المتدني ، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة ، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية . إذ تقديم العون**

لذوي الحاجة ، قد أصبح أمرًا مهمًّا في عملية التنصير » .

وإذا نظرنا إلى الخيبة الاقتصادية التي تعانيها مجتمعاتنا وحكوماتنا نجدها جزءًا من هذا المخطط ؛ لأنها تفتح الباب للمساعدات الأجنبية والمنظمات التنصيرية ، والعبارة السابقة شاهدة على ذلك ، وعبارة أخرى تشهد بذلك فتقول : « إن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري ، فأصبحت أكثر تقبلًا للنصارى » . أعتقد أن الإنسان لو كتب شعرًا في وصف هذا المخطط فلن يستطيع أن يقول ما تقوله هذه الفقرات التي هي مجرد عناوين لمحاور أساسية ضمتها الأبحاث الأربعين والمناقشات التي دارت في مؤتمر كلورادو .

من وقائع الإحصائيات والمؤسسات النصرانية والنشرات والمجلات التنصيرية ، أسرد عليكم بعض الأرقام التي تبين كمَّ القوة المادية والإمكانات الموضوعة تحت يد هذا المخطط ، ففي نهاية المؤتمر قرروا تكوين معهد « زويمر » - وهو أشهر المنصرين في العصر الحديث - (معروف أن الدور الأمريكي في هذا المخطط هو نفسه دور أمريكا في هذا النظام العالمي ، وكيف أن الكنائس الأمريكية والمنصرين الأمريكيين - كما يطالب المؤتمر - يجب أن يحتلوا القيادية في العالم الإسلامي مثلما تحتل أمريكا موقعها القيادي في العالم أو في النظام العالمي) ، واعتبروا هذا المعهد مخ حركات التنصير وإرسالياتهم .

أما عن إحصائياتهم فتقول : ١٢٠٨٨٠ مؤسسة متخصصة لتنصير المسلمين ، ٩٩٢٠٠ معهد لتأهيل المنصرين ، ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصرًا

محترفًا ، ٨٢ مليون جهاز كومبيوتر في مؤسسات التنصير ، ٤٤ ألف مجلة متخصصة في التنصير بأسلوب مباشر أو غير مباشر (وجدوا أن الأسلوب المباشر فاشل ، وأن غير المباشر أفضل ، مثل الكلمة المرئية والمسموعة والمقروءة والأفلام والإذاعات) حيث يقولون : « **إننا نقدم في إذاعاتنا طُعمًا لجذب المسلمين** » .

وأضرب لكم مثلًا ، فهناك إذاعة جنوب لبنان في المنطقة التي جعلتها إسرائيل حزامًا لها ، نجد هذه الإذاعة تأتي بمُنشد الإنجيل (هذا الكلام من واقع أوراق المؤتمر ذاته) فنفاجأ بمستمع يرسل خطابًا يستوضح فيه أي جزء من القرآن أنشده هذا المنشد ؟! وذلك لأن الإنشاد يُنشد بطريقة كأنه ينشد القرآن فتجيب الإذاعة « **لقد كان ينشد من الإنجيل الشريف ، هل تريد نسخة ؟** » ثم يرسلون إليه نسخة !!

عملوا برنامجًا عن الشعر العربي - وهم يعلمون حبنا للشعر - فيقدمون نماذج للشعر العربي ، وفي آخر البرنامج نجدهم يقولون : « **وكان أعظم شعراء الدنيا داود !!** » ، ثم يسألون المستمعين : « **من يريد نسخة من شعر داود فليرسل إلينا خطابًا** » ، ثم يرسل لصاحب الخطاب نسخة من الإنجيل ونسخة من المزامير !! ثم عقدت الإذاعة اتفاقية مع الـ B.B.C لتعليم الإنجليزية وقال إذاعيوها : « **نحن نعلم أن المسلمين يُريدون تَعَلُّم الإنجليزية ، إما ليهاجروا أو ليحسّنوا دَخلهم** » ، ومن خلال أسطوانات الـ B.B.C. يقدمون رحلات وبرامج ومشاهدات تحوي المضمون النصراني .

نعود مرة أخرى للأرقام فنجد ٨٨,٦١٠ كتابًا صدرت للتنصير ،

٢٢٤٠ محطة للإذاعة المسموعة والمرئية ، ٥٣ مليون نسخة من الإنجيل تم توزيعها في العالم الإسلامي حتى عام ١٩٩١ م ، ١٠,٦٧٣ مدرسة منتشرة في العالم الإسلامي نرسل إليها أولادنا ، ٩ مليون طالب يدرسون بالمدارس التي أقامتها إرساليات التنصير في العالم الإسلامي ، ٦٨٠ دارًا للعجزة والأيتام تقوم بدورها الممهد للتنصير ، ١٠ آلاف وخمسين صيدلية ، ١٦٣ مليارًا ميزانية إرساليات التنصير ، ٩ مليون دولارًا الدخل السنوي للكنائس العاملة في هذا المجال ، ٨ مليار دولار دخل إرساليات التنصير ، تلك بعض الإحصائيات المنشورة في نشراتهم ، وليست استنتاجات من قبل المسلمين .

أشرت لمسألة تجميد الجامعة العربية ، وإن كنت لا أتصور أنها متجمدة ؛ لأنها تحوي أناسا ممتازين وأكفاء ، بل وعلى رأسها واحد من أفضل وأقدر الكوادر الدبلوماسية في مدرسة الدبلوماسية المصرية ، لكن القضية أننا داخلون في مرحلة مطلوب من الإطار التنظيمي فيها أن يسمح باستيعاب إسرائيل ، فلو ظلت الجامعة العربية مقامة لن تستطيع إسرائيل أن تدخلها ؛ لأن الصومال حينما أرادت أن تدخل الجامعة كان لا بد من أن تنطق باللغة العربية ؛ لأن هناك حدًّا أدنى أو إطارًا يتعلق بالهوية لا بد من توافره ، وإسرائيل لا تتحدث العربية ، ومن ثم لن تدخل الجامعة ، فظهر الحديث عن « **دول حوض البحر الأبيض المتوسط** » أو « **الإطار الشرق أوسطي** » الذي يستلزم إقامة إطار يسمح بأن تكون إسرائيل جزءًا من هذه المنطقة ، وكل هذا من نتائج المفاوضات متعددة الأطراف ، ومن ثم تدخل إسرائيل في مسألة

البترول والمياه والأرض . وكل هذا جزء من المعركة الأساسية وهي معركة الهوية ، فمطلوب أن تصبح منظماتنا وعلاقاتنا ذات معايير ليست هي المعايير التي تفرض الولاء والعداء والبراء ، وإنما أشياء تبشر بلون من ألوان الإلحاق ، فالذين يبشرون بدول حوض البحر الأبيض المتوسط نجدهم - بوعي أو دون وعي - يبشرون بلون من ألوان الإلحاق بالنظام العالمي الجديد - كما يسمى - وهذا تتويج وتكريس لانتصار الغرب في معركة الهوية .

هذه النماذج التي ذكرتها ، سواء قضية الأقليات أو التنصير أو المنظمات الإقليمية ، وتذويب المنظمات ذات الهوية المانعة من الاختراق ، كي يُفتح المجال لأشكال من العلاقات التي تقبل الآخرين وتزيل الهوية كعقبة أمام هذا القبول . هذه ألوان وأمثلة على هذا الجديد في ذلك المخطط القديم الجديد ، وأعتقد أن هذا المخطط الذي يتصاعد بقبضته المواجهة الغربية في مواجهة العالم الإسلامي وراء هذه المآسي التي نشهدها جميعًا ، فالمسلمون في الهند - وهم أكثر من مائة مليون نسمة - قد أقيمت على أرضهم « بروفا » لما ينتظر المسجد الأقصى ، فأن يُهدم المسجد ويُقام بدلًا منه المعبد . والجيش الهندي - الذي كان من المفروض أن يحمي المسجد - نجده يدخل المعبد ويسجد لإلههم « راما » ، هذا شيء مذهل ! وبالهند ٣ آلاف مسجد موضوعون في قائمة الهدم والإزالة ، كما أن عمليات التطهير العرقي تحدث الآن في الهند ، ولكن عمليات التطهير العرقي في البوسنة والهرسك تحتل المساحات الإعلامية العالمية ، مما يجعل هناك تعتيمًا

على ما يحدث في الهند . والمصيبة أن صحافتنا حينما تنشر أخبار الصراع في الهند تقول : « نزاعات عرقية » ولا تذكر المسلمين بشيء ، ولا عدد قتلى المسلمين في هذه النزاعات !! بل تذكر صحافتنا عدد القتلى دون تحديد الهوية ، ودون أن تذكر أن المسلمين يتركون متاجرهم ومنازلهم ويهربون من اضطهاد الهندوس لهم .

أي أن ما يحدث الآن على اختلاف بقاع أرض الإسلام والمسلمين جعل ـ كما يقول شيخنا محمد الغزالي ـ : « **دماء المسلمين أرخص دماء على ظهر هذه الأرض** » ، وأنا أقول : إن الغرب يعي تماما ـ كما تقول كتاباته ـ أن الجسد الإسلامي يشهد صحوة ويقظة ، ولذلك فالغرب يشدد هذه الضربات ليعالج هذه الصحوة ، وإذا كان هذا هو الجديد في مخطط الغرب إزاء الإسلام والمسلمين ، فعلينا أيضًا أن نفكر في الجديد في المشروع الإسلامي ، وفي ترشيد يقظتنا الإسلامية ، وفي إحكام قبضة المسلمين على هذه الكنوز التي ورثوها ، وعلى نعمة الإسلام التي أنعم الله بها علينا ، كي نستطيع أن نكون بالفعل خير خلف لخير سلف ، وأعتقد أننا أهل لذلك إذا نحن أحسنا استثمار ما بيدنا من إمكانيات . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حوار حول المحاضرة

• المستشار عثمان حسين :

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية من عند الله إليكم مباركة طيبة ، فالحقيقة أن أخانا الأستاذ الدكتور محمد عمارة داعية وعالم كبير يتحلى بأخلاق العلماء بارك الله لنا فيه ، فقد أسعدنا اليوم بحديثه الدامي ، فطوف بنا على طول التاريخ ، كما وضعنا في « بانوراما » وبصرنا بواقعنا المؤسف وما ينتظرنا ـ نحن المسلمين ـ من سوء ناشئ عن مخططات الغرب ، وأرى أن الغرب ـ منذ العصور الوسطى ـ صليبي يستعمر بلادنا بقوة ويعاملنا بوصفنا أقوامًا متخلفين ، وأضاف في القرن العشرين إلى روحه الصليبية الظالمة روحًا صهيونية شريرة ، فأعان على قيام إسرائيل وزرعها ، وهو سعيد الآن بغطرستها واستعلائها ، وإن كان قد بدا يومًا من الأيام أن ثمة اختلافًا بين الغرب الغربي والغرب الشرقي ، ففي الواقع أنه لم يكن من قبيل الاختلاف في الأصل أو الجوهر ، وإنما اختلاف في المظهر أو في الانحياز .

والواقع أن استمرار الخشية من الصحوة الإسلامية الجادة كانت ومازالت وستكون مؤرقًا للغرب المسيحي واليهودي الذي زُرع داخل منطقتنا ، وتزداد الخطورة كلما تصورنا أن الولايات المتحدة قد أصبحت صاحبة الهيمنة على مقدرات العالم والأمم المتحدة ، فهل نلوم الغرب ؟ هل نلوم إسرائيل ؟ هل نرجو منهما خيرًا ؟ أقول : لا ، فلن يكفَّ الغرب عن غطرسته وعن هيمنته ، وسيتمادى في عشرات السنين المقبلة ، وإنما نلوم أنفسنا ـ العرب المسلمين والمصريين ـ فيدمىٰ فؤاد الإنسان كلما رأى في مصر كثيرًا من المثقفين وأساتذة الجامعات والصحفيين والإعلاميين ، وليست لهم الشخصية

الإسلامية أو الفهم الصحيح للإسلام المتكامل . فالصحوة الإسلامية ينبغي أن تُغير .. فهل نحن بأوضاعنا الراهنة نستحق أن نكون حملة الإسلام ؟ هل نحن نربط بين الدين والحياة ؟ هل نربي أبناءنا وتلاميذنا على أخلاق الإسلام ؟ إلى أي مدى يؤمن قادتنا وقضاتنا وإعلاميونا وصحفيونا ومعلمونا برسالة الإسلام ؟ ولطالما تعلقنا بالعروبة ، فما العروبة ؟ والحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] ويقول : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] وهنا يربط ـ سبحانه وتعالى ـ بين وحدة الأمة والتقوى والربوبية والعبادة . ومع هذا فقد أصبح الشقاق بيننا ـ نحن المسلمين ـ علامة بارزة ، يحارب المجاهدون في أفغانستان العدو ثم تنتهي الحرب لتبدأ حرب أخرى بين طوائف المسلمين هناك !! والحروب الكثيرة بيننا سواء على الحدود أو على مطامع إقليمية ، أين نحن من الهوية الإسلامية ؟ وأين مبدأ وحدة الأمة ؟

أخطر ما في الأمر أن قيمنا الحضارية تكاد تنسى ، وأن معاهد العلم عندنا لا تربي على الإسلام ، وإلا دلوني على معهد علمي يعلم ويربي ، إذاعاتنا وصحفنا تتحدث عن شيء اسمه التسامح ، وهم يقصدون بذلك الذلة والهوان ، والمسئولون الدينيون الرسميون لا يتحدثون إلا عن هذا التسامح بهذا المعنى !! بالأمس سمعت ـ في مجمع كبير يضم كبار المثقفين المسلمين لم يكن بينهم سوى مسيحي واحد ـ أستاذًا كبيرًا يدير حديثه الرسمي على أننا لا يجب أن نطبق حكم الشريعة الإسلامية ، وهو مسلم بن مسلم !! ويجلس في هذا المجمع ثلاثة علماء من كبار شيوخ الأزهر ، فلا يتحرك أحدهم بكلمة !! بل يبتسمون !! أين الغيرة على الإسلام وهوية الأمة وشخصيتها ؟

ماذا نحن فاعلون ؟ لا بد من تربية البراعم من الشباب في الأسرة والمدرسة والجامعة على أخلاق الإسلام وقيمه ، وأن ننتمي إلى أمتنا الإسلامية ، وأن نزن الأمور بميزان الإسلام ، كل على اختلاف موقعه وعمله . وعندئذ سينحسر مد الغربي التبشيري ومده الخاص « بالليونز » و « الروتاري » ، والمساجد الكنيسية التي يتحدثون عنها .

أقول قولي هذا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* **المهندس محمد مأمون :**

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المحاضرة وثيقة مهمّة جدًّا ، وهي تلخيص تاريخي مُرَكَّز وشامل لتاريخ المواجهة الحقيقية بين الأمة الإسلامية والغرب الصليبي ، وميزة هذه الدراسة أنها وصلت بمنظور تاريخي علمي موثق مدقق إلى ما يسمى اليوم بالنظام العالمي الجديد .

ولقاؤنا هذا من النوع الذي يطرح التحديات ويفرض ضرورة المواجهة ويضعنا أمام حقيقة أن كلًّا منا على ثغرة من ثغور الإسلام ، وأرى أن مشكلتنا الحقيقية أننا لا ندرس التاريخ .

والسؤال الآن : ما العمل ؟ لا بد أن نعرف تاريخنا ، وهذا العبء يقع على الصفوة والعامة ، فالمعركة الحقيقية اليوم هي الحفاظ على الهوية مهما هُزمنا ماديًا ، لا بد أن نعايش الإسلام في كل ما يصدر منا ، لا بد أن نصلح أنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا ولنجتهد في تغيير أنفسنا ، ولنتنبه إلى التجمع الواعي لأنماط البشر حتى ولو تسمَّوا بأسماء المسلمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . عبد الخبير عطا :

بسم الله الرحمن الرحيم

لدي خمس ملاحظات أساسية ، ولكن قبل ذكر هذه الملاحظات ، أذكر لكم قصة « مؤتمر كلورادو » الذي عقد في ١٥ مايو ١٩٧٨ م ، و ١٥ مايو هو تاريخ إنشاء إسرائيل ، وأضيف أن التواريخ لها دلالة في الإدراك ، ووثائق المؤتمر نشرت في ٩٥٠ صفحة باللغة العربية ، ترجمها لنا بعض الإخوة ، ودُفعت إلينا في أحد المعاهد في إحدى دول الخليج ، وكان الرأي هل ننشر هذه الوثائق ؟ أم الأفضل العمل لمواجهتها دون نشرها ؟ فكان الرأي الذي ساد هو عدم نشر هذه الوثائق ، وإن كنت أرى النشر أفضل من خلال تحليل لها ، ولكن بعض الإخوة خافوا أن يكون في هذا تيئيس لبعض الناس ، وبعد ذلك قامت إحدى الدول العربية بنشر هذا الكتاب مصورًا دون أن تضع اسمها عليه ، فتسرب الكتاب إلى مصر ، ولكنه توقف عن الدخول إلى مصر خوفًا من أن يُحدث « فتنة طائفية » وهذا سوء فهم . فالعكس هو الصحيح ؛ لأن الهدف من دخول هذا الكتاب هو الحيلولة من حدوث هذه « الفتنة » ، وذلك للتنبيه إلى أن التنصير مخطط غربي يهدف إلى التضحية « بإخواننا » الأقباط داخل مصر خصوصًا ، وعملنا فعلًا جلسة مكثفة مع بعض المسئولين في مصر لنوضِّح لهم أن هذا المؤتمر ـ وهذا الكتاب ـ يكشف القصور الاستعماري لتوظيف الدين والأقليات .

أما ملاحظاتي فهي :

الملاحظة الأولى : أن دراسة أستاذي الدكتور عمارة – بحق حول هذا المؤتمر – لها دلالة خاصة ، وقد سبقه في هذا إخوة أفاضل . وحسب ترتيب

معرفتي بدراساتهم :

أ ـ الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبي ، حيث عقَّب على هذا المؤتمر في كتاب له بعنوان : « أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية » .

ب ـ والكتاب الثاني للدكتور عبد الودود شلبي أيضًا بعنوان : « الزحف إلى مكة » ، وتناول فيه بعض وثائق هذا المؤتمر .

ج ـ العمل الثالث كان لشيخنا الجليل محمد الغزالي في كتابه : « صيحة تحذير من دعاة التنصير » من منشورات دار الصحوة .

د ـ ثم جاء الدكتور عمارة وصرخ وعرض عرضًا شافيًا في أربع حلقات في جريدة « المسلمون » ، ثم جاء اليوم ليصرخ مرة أخرى ليوقظ من يمكن أن يستيقظ .

هـ ـ وكتاب آخر للأستاذ جلال كشك بعنوان : « ألا في الفتنة سقطوا » وتناول في فصله الأخير أسرارًا كشفت من يسمون بـ « العلمانيين » ، ومنهم من هو عميل وهو يعرف ومنهم من لا يعرف ، وذكر الأستاذ جلال أن بعض من ينطبق عليهم هذا الوصف : « النصارى المسلمون » ، وهم مسلمون شكلًا ، ومنهم من يقول : إن « المسيحية هي الحل » وذكر منهم حسين أحمد أمين . ونحن نقول : إن الكل « إخوة » لنا ، فالحكام إخواننا في « المسئولية » ، والعلماء إخواننا في « الدين » ، والأقباط إخواننا في « الوطن » . فهل هناك تسامح أكثر من هذا ؟ لكن أن نقول : إن المسلمين « إرهابيون » ، وأن هناك « فتنة طائفية » ، فهذا لا يصح ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ أي أننا نقرأ بمنهج « رباني » وليس بمنهج « علماني » .

الملاحظة الثانية : أنه في دراسة العلوم السياسية ، هناك « ثوابت » وهناك

« متغيرات » ، ومن بين الثوابت أن الدول الأجنبية لها ثوابت مثل أهدافها وغاياتها ، والمتغير هو كيفية تنفيذ هذه الأهداف ، فهناك ثوابت في الأهداف ، وتغير في الوسائل والأساليب طبقًا لعنصر « الزمن » و « المكان » و « المناطق » و « الأشخاص » ، ثم يأتي الحديث اليوم عن السياسة الاتصالية أو الإعلامية أو التنصير باعتباره أحد أدوات تنفيذ السياسة الخارجية لهذه القوى مجتمعة في إطار ما يسمى « بقوى التحالف الدولي » . فقوى التحالف الدولي الآن لا تدخل كدول وإنما كقوى دينية ، وبالتحديد بمنظمات دينية ذات مصالح تشبه الشركات المتعددة الجنسيات ، أي أنها « عَبْر قومية » ، وتوظَّف وتوظِّف ، فمثلًا الفاتيكان الآن يتغلغل داخل المجتمعات الإسلامية ، والجديد في العلوم السياسية الآن أننا ندرج ما يسمى « بجماعات مصالح » داخل النظام السياسي ، وجماعات عبر قومية على المستوى العالمي ، هذه الأدوار الفاعلة في مجال السياسة الخارجية والسياسية العالمية لها دور الآن في صنع القرار السياسي ، حتى يصبح هناك تحالف استراتيجي وتكتيكي بين هذه القوى والاستعمار والتنصير ، وقوى الغزو الفكري من الداخل .

الملاحظة الثالثة : تتصل بما يسمى بالمنهج الصحيح في « وصف » الظاهرة الحالية وصفا دقيقًا وأمينًا ، « وتفسيرها » تفسيرًا صحيحًا . ثم البحث عن « الحلول الحقيقية » لا الوهمية المعالجة هذه الظاهرة ، واليوم الدكتور عمارة تحدث عن الوصف الدقيق لها ، وفسرها تفسيرًا علميًّا ، والأمر مطروح على حكام المسلمين وعلمائهم والرعية أيضًا حول أنسب السبل لمواجهة هذه الظاهرة ؛ لأننا سنُسأل يوم القيامة عن سلطتنا وماذا فعلنا في هذا الأمر . وأريد أن أضيف أن هناك كتابات ظهرت في السوق تفسر هذه الظاهرة . والحقيقة أن الدراسات المستقبلية درست في الغرب عن أن المسلمين قوة

ستسود ، وبالتالي فكروا في « فرملة » هذه القوة ، ولرجاء جارودي كتاب بعنوان : « الأصوليات المعاصرة : أسبابها ومظاهرها » تناول فيها الأصولية الفاتيكانية ، وزيارة البابا للسودان توضح هذا ، على أساس أن للفاتيكان تصورًا عالميًا الآن كما لليهود تصور عالمي ، وكذلك المسلمون لهم تصور عالمي . وبذلك أصبح هناك ثلاثة تصورات عالمية ، وصراع عالمي للسيادة الروحية على العالم . وحينما يتحدث جارودي عن الأصولية ، نجده يذكر الأصولية الفاتيكانية ، والعلماوية (أي استخدام الغرب للعلم من أجل السيادة) والأصولية الاستالينية ، ثم تحدث عن الأصولية الإسلامية وأسباب ظهورها ، وذكر أن أول سبب لها هو الاستعمار الذي ضغط على العالم الإسلامي ، فظهر رد الفعل الإسلامي ، والسبب الثاني هو انحطاط القيم الغربية ، والسبب الثالث هو الأصولية اليهودية ، فغطرسة القوى اليهودية جعلت المسلمين يبحثون عما يحتمون به ، والسبب الرابع عند جارودي هو الأصولية السعودية و « الإخوان المسلمون » ، ثم تحدث بعد ذلك عن كيفية التعامل مع هذه الأصوليات .

وهناك كتاب آخر للباحث الفرنسي « جيل كيبل » صاحب الكتب الثلاثة « النبي والفرعون » و « ضواحي الإسلام في أوربا » و « يوم الله : الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاثة » وفي كتابه الأخير يتحدث عن الأصوليات الثلاثة ؛ الأصولية الفاتيكانية داخل أوربا ، والأصولية الصهيونية المسيحية داخل أمريكا ، والأصولية اليهودية ثم الأصولية الإسلامية . ثم يقول إن الصراع الآن في أوربا حول التطرف الديني الذي بدأ يظهر كنتيجة التطرف الدنيوي الذي حدث في أوربا بعد تنحية الكنيسة عن الحكم . ثم يتحدث بعد ذلك عن أنه سيحدث صراع على المستوى الكوني بين أنصار الأديان الثلاثة . ثم يقول : إن « ثأر الله » أو يوم الله سيكون لمن تكون له الغلبة في هذا الصراع .

وهناك كتاب لفرانسو بورجا « الإسلام السياسي : صوت الجنوب » يدخل مدخلًا فلسفيًا مهمًا جدًا في هذا السياق فيقول : « إن الاستعمار الفرنسي للجزائر استمر ١٣٢ سنة ، وبالتالي فإن الفعل الاستعماري هو السبب في رد الفعل (الصحوة الإسلامية) » . ويقول إن مقدار ضغط الغرب على المسلمين هو نفسه مقدار صحوة المسلمين مرة أخرى .

إذن هناك أسباب عديدة تفسر الصحوة الإسلامية ، وبالتالي ليس غريبًا عليهم أن نجد هؤلاء يفكرون منذ عام ١٩٧٨ م في كيفية مواجهة الصحوة الإسلامية من داخل أسلوب اتصالي وإعلامي ، إلى جانب الأساليب العسكرية والديلوماسية والاقتصادية .

الملاحظة الرابعة : أشير بصورة سريعة إلى أن المسألة خاصة بفقه المستقبل ، وإلى ما يسمونه بعودة المسيح مرة ثانية ليحكم العالم ألف عام ، ومن هنا فهم يحاولون استخدام تعبير « الشرعية الدينية » كما يستخدمون الآن تعبير « الشرعية الدولية » ، الذي يعني التحالف الدولي من خلال الأمم المتحدة وغيرها ، وما يقصدونه من الشرعية الدينية هو مثلما نقول « بالإرادة الكونية » أو « ربنا يريد ذلك » . وهذا كلام نيكسون في كتابه الذي قدم له المشير عبد الحليم أبو غزالة وعنوانه : « نصر بلا حرب : ١٩٩٩ » أي قبل نهاية الألف الثانية ، أي أننا سنظل في هذه القصة (قصص الحروب والنزعات) حتى نهاية الألف الثانية ، ثم يأتي المسيح - كما يقولون - ليحكم مدة ألف سنة ، وهذا ليس إلا تسويغًا للمشروع الاستعماري من خلال الدين ، والذي يسميه د.محمد عصفور « الرأسمالية الدينية » ، أي أن المشروع الحضاري الغربي يتزيا بزيِّ الدين ، ونحن نقول : إن هذا ليس عمل الدين ، ونحن نبرئ السيد المسيح من هذا ، ولكنه توظيف للدين لتحقيق المصلحة

الاستعمارية ، كما وظفت « القومية » و « الأيديولوجية » في مجتمعاتنا .

الملاحظة الخامسة والأخيرة التي أريد أن أشير إليها الآن : هي أننا فعلًا في حقبة انتقلت فيها المعارك من الأرض إلى « القلوب والعقول » ، وهذا فيه تهديد لعقيدة المسلم ، بل تهديد لعقيدة « إخواننا » النصارى ، لأن هناك رغبة في الهيمنة على نصارى الشرق لصالح المشروع الغربي نفسه ، لذلك نقول : نحن وإخواننا النصارى في خندق واحد ، فأوطاننا وأديانا مهددة ، كما قال صاحب كتاب « أقمار الفضاء نحو غزو جديد » ، وهو الدكتور عبده يماني وزير الإعلام السعودي الأسبق . قال : جاء وقت كان الذي يحتل البحار يحتل العالم ، والآن الذي يحتل الفضاء يحتل العالم ، حيث أصبحت الأقمار الصناعية تُعد لتدخل حيث يعيش المسلم ، فتسيطر على عقله وقلبه ، وبذلك انتقلت المسألة من « كنائس محلية » ومنزلية إلى كنائس من خلال الأقمار الصناعية نفسها ، كما أريد أن أعتب على مؤسسات البحث الإسلامية والعربية لأن هذا العمل انتهى منه عام ١٩٧٨ م ، وحتى الآن لم نفكر في كيفية الرد ، رغم أن الآخرين يملكون مؤسسات ويديرون المعارك بأسلوب صحيح ، معتمدين على موارد هذه المؤسسات ، أما نحن فندير المعركة بأسلوب خاطئ .

المهم أننا نحاول - منذ صدور ترجمة وثائق هذا المؤتمر في كتاب - أن نصدر كتابًا يتناولها بالتحليل ، وحتى الآن لم نجد مؤسسة تتبنى هذا العمل ، ومشروع الكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء : الجزء الأول : الدعاية التنصيرية الموجهة للعالم الإسلامي : الاستراتيجية ، الجزء الثاني : عن التكتيك ، والجزء الثالث : عن مدى الفاعلية . وقد بوّبنا هذه الوثائق الأربعين إلى ثلاث مجموعات انطلاقًا من منهج التعامل الاتصالي الذي يميز بين القائم بالاتصال والجمهور المستهدف والرسائل الإعلامية ثم رد الفعل . وأنا هنا أبرئ ذمتي

أمام الله وأدعو إخواننا لإنجاز هذا العمل بل ونحمد كل من يستطيع أن يقدم دراسة تحليلية لوثائق هذا المؤتمر ، وإضافة لما تم ، سواء كانوا حكامًا أو علماء أو أبناء المسلمين .

وأذكر بأن أخطر ما جاء بالوثائق أنها تتحدث عما يسمى بإسلام « الكتاب والسنة » الذي لم تستطع أن تخترقه الجهود التنصيرية ، ولذلك فهم يتحدثون عن إسلام العامة وإسلام المرأة أو إسلام العفاريت لاعتقادهم أن هذه هي المناطق الرخوة التي يمكن مهاجمتها .

وأخيرًا .. أدعو الله ـ تعالى ـ أن يرشدنا إلى الطريق الصحيح ؛ لكي نعلم ونعمل ؛ لأننا لو علمنا ولم نعمل سيكون مغضوبًا علينا ، وإن عملنا بدون علم نكون من الضالين . واللهَ أدعوه أن نكون من المهتدين. وأعطي لأستاذنا وشيخنا الدكتور عمارة هذا التصور لإمكانية عمل فريق بحث بشكل علمي ، فلسنا أعداء لأحد ولا نبحث عن عداوة ، بل نريد أن نوضح للجميع أن الإسلام منهج رباني ونحن مكلفون بتبليغه وسنحاسب إن لم نبلغ .

د . محمد عمارة :

أعلم أن أخي د . عبد الخبير من المهتمين بهذه القضية ، ولعله يفكر في إطار لعرض ما لديه من أشياء مهمة ، وحقيقة كل الأسئلة التي وصلتني تدور حول السؤال : **ما العمل ؟** صحيح أننا في حدود ما نملك ـ كأناس تشتغل بالفكر ـ نقول ما يهدينا الله إليه ، وشيخنا الغزالي قدم كتابه « صيحة تحذير من دعاة التنصير » ، وقد نفذت طباعته أكثر من مرة . وقد سمح فضيلته لطلاب جنوب شرق آسيا الذين يتعرضون للضربات التنصيرية ، بأن يقوموا بترجمة الكتاب للغاتهم ، وأنا أصدرت كتابًا عن « استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ـ بروتوكولات قساوسة التنصير » ، ونسأل الله أن يعيننا على ترجمته للغات

البلاد في آسيا وإفريقيا التي تتعرض أكثر منا لهذه المشكلة ، بل إنني في الفصل الأخير عملت إشارة لأن يكون هذا الكتاب ورقة عمل لندوة تعقدها المؤسسات وعلى رأسها الأزهر ؛ لدراسة ماذا تم من هذه المخططات على هذا الواقع ؟ وكيف نحصن الذات الإسلامية ؟ وكيف ننقل المعركة إلى قلوب الأعداء ؟ هذا بالإضافة إلى الكتب التي ذكرها الدكتور عبد الخبير .

أما عن السؤال : ما العمل ؟

أقول : إن شامير ورابين وبريز عرضوا على العالم الإسلامي تكوين جبهة مع حكوماتنا تكون ضد التوجه الإسلامي ، ونحن نقدم مشروع جبهة أخرى ، فنقول لكل الذين يحافظون ويريدون الحفاظ على وطن مستقل - رغم اختلاف اتجاهاتهم نريد وطنًا مستقلًا . وبعد ذلك فليبشر كل منكم بمشروعه ؛ فليبشر القومي بمشروعه ، والوطني بمشروعه ، والإسلامي بمشروعه .

أما إذا لم يكن هناك وطنًا مستقلاً فأين الوعاء الذي سيبشر كل فيه بمشروعه ؟ !

ففي مقابل الجبهة الإسرائيلية المزعومة نقول : إنه على كل هؤلاء (إسلاميين وقوميين ووطنيين) أن يتكاتفوا في مواجهة اقتلاع هويتنا وهي المعركة الأساسية .

وأقول مرة أخرى : إننا نملك فقط أن نفكر وأن نقول ما يفتح الله علينا به ، ونأمل من إخواننا ذوي التنظيمات والحركات والأحزاب أن يعتبروا أن المعركة ليست بالدرجة الأولى داخلية ، وإنما هي بالدرجة الأولى مع الغرب ومع الامتدادات السرطانية لهم داخل بلادنا .

أ . خالد عبد الحليم :

بسم الله الرحمن الرحيم

التبشير والتنصير أمر لا يتداول فقط على مستوى الكتب أو على مستوى البلاد الأخرى ، بل تتم ممارسته في مصر ، فقد حدث أن ذهبت إلى أحد الأديرة وهو (دير الآباء الدومينيكان) لأستفيد من بعض المراجع التي لا أجدها سوى عندهم ، وكان ميعاد المكتبة في الرابعة ، فذهبت - مصادفة - في الساعة الثالثة مبكرًا عن موعدي ، فوجدت اجتماعًا ، وبدون قصد دخلت إلى هؤلاء المجتمعين ، ففوجئت بمبشر أجنبي ، وأعتقد أنه أمريكي الجنسية ، يلقي محاضرة عن أحدث طرق التبشير ، وكان يتحدث بالإنجليزية ، ويقوم بالترجمة له رجل مصري مهاجر إلى الخارج - وهنا لابد أن ننتبه لدور المصريين النصارى المهاجرين - فالجهود التبشيرية لا تستهدف المسلمين فقط بل الأقليات الدينية الأخرى . وكان المبشر يحدث المجتمعين عن أهمية التبشير ، وأن التبشير في بلادنا سهل جدًّا ، وأن العالم منذ عامين يقول : « **أن تبشر في الصين أو الهند أو اليابان فهذا صعب ، أما أن تبشر في بلاد الشرق الأوسط فهذا شيء سهل** » ثم تناول بعض الأشياء من كتابهم الذي يقدسونه عن شخصية رجل اسمه « جدعون » وهو رجل صاحب فئة قليلة من الناس ، وانتصر بفضل المسيح على الفئة الكثيرة (!!) وأن هذا ممكن أن يحدث في مصر بسهولة .

وأغرب ما رأيت في هذه الكنيسة أن ذلك المبشر كان يعتمد على أولاد صغار في سن تتراوح بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ، وقد اختار المبشر

ولدًا في الرابعة عشرة وبنتًا في السادسة عشرة ، وأعلن أنه سيأخذهما إلى لوس أنجلوس بأمريكا ليعلمهما أحدث طرق التبشير ، وقال : « **إنهما سيعودان بصورة مختلفة عما ترونها الآن** » ، وكان هناك حماسٌ شديدٌ من الموجودين لما يعلنه ذلك المبشر ، وقد لاحظ بعض الموجودين أنني « وجه غير مألوف لديهم » فأرادوا التعرف علي ، وفهمت بعد ذلك أن أغلبهم من النصارى المهاجرين إلى الخارج .

أما عن « مؤتمر كلورادو » فليس هو المؤتمر الوحيد الذي تم في هذا الشأن ، فقد قرأت عن مجمع الفاتيكان الثاني ، وهذا مجمع خطير جدًّا ربما لا يقامُ إلا كل ألف عام ، وكان في الستينيات ، وقد تعرفت على هذا المجمع بأسلوب عجيب جدًّا ، فقد طلبت كتابًا عن هذا المجمع من قسيس أجنبي ، وألححت عليه في طلب هذا الكتاب فأعطاني ميعادًا يوافق الجمعة الساعة الثانية عشرة (أي وقت صلاة الجمعة) وبالطبع لم أذهب ، ثم قابلته في ميعاد آخر وحصلت على الكتاب ، وفوجئت بصفحات الكتاب كلها تتحدث عن التبشير .

الأمر الأخير الذي أريد أن أحدثكم فيه أننا أمام موجة تبشيرية فيها ذكاء عجيب ، فمن المعروف أن هناك مذاهب مسيحية تكاد تختلف عن بعضها وكأنها ديانات مختلفة ، وهم الآن يتوجهون إلى سياق عقيدة واحدة ، وقد اجتمع البابا في مصر مع بابا الفاتيكان مع رجل آخر اسمه « زكا » ـ أعتقد أنه رئيس طائفة معينة ـ كي يصيغوا قانون إيمان موحد ، لأنهم يُفاجأون بأن من يتنصر لا يعلم أين يذهب ؟ أيذهب إلى الكاثوليكية ؟ أم البروتستانتية ؟ أم الأرثوذكسية ؟ وحينما يفاجأ بتلك التناقضات بين هذه المذاهب يعود مرة أخرى للإسلام !! وشكرًا .

د . محمد عمارة :

أرجو ألا يُفهم من كلامنا أن مصر بمنأى عن خطر التبشير ، ففي كتاب وثائق المؤتمر الذي حدثتكم عنه ، يتحدثون عن نماذج للتنصير في مصر ، واجتماعات عقدت في بعض الأديرة ، وعن أحد القساوسة الذي يلبس زي علماء المسلمين ويتحدث كما لو كان مسلمًا ، ويخطب على المنبر مما جعله مألوفًا لدى الناس .

أسئلة على المحاضرة

سؤال : لماذا قلتم رايات الفتح الإسلامي رغم أنها كانت راية واحدة ؟

الجواب : الحقيقة أنها كانت معارك كثيرة ، ولكل معركة راية ، حتى المسلمون في الجيش الواحد ، نجد لكل قبيلة منهم راية ، وهذا ليس معناه أنهم متفرقون .

سؤال : إذا حققنا ـ بمشيئة الله ـ مشروعنا النهضوي . كيف يمكننا مواجهة العالم الذي أعطى نفسه الحق والشرعية ليغزونا عبر المؤسسات الدولية التي نحن جزء منها ؟

الجواب : أرى أن الوعي بما نحن بإزائه هو أول خطوة ، والتغيير وفق المنهج الإسلامي هو بداية الطريق ، والاعتصام بالمشروع الإسلامي وأهله هو الإطار الذي يجعلنا لبنة في هذا البناء المقاوم لهذا المخطط .

سؤال : هل عدم اعتبار المسلمين الديانة المسيحية ديانة أجنبية ، بالرغم من وجودها في العالم الإسلامي ، هو الذي نبه الغرب لفرضها علينا بالقوة ؟

الجواب : الحقيقة هم على وعي بأن المسيحية لها صورة غربية ، وصورة

مسيحية ، ومطلوب منا أن نجعل كنائس الشرق ومذاهب النصرانية في الشرق جزءًا من تراثنا ، وأن نجعل كل الأقليات (قومية أو دينية مسلمين وغير مسلمين) جزءًا من الأمة ولبنات في جدار المقاومة ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، هذا هو المعيار . لأن معيار الموالاة والمعاداة في القرآن الكريم هم الذين يقاتلوننا في الدين ويخرجوننا من ديارنا ويظاهرون على إخراجنا ، وما عدا هؤلاء فلهم البر والقسط والمودة ، فنحن لسنا ضد اليهود والإنسان الغربي ، وإنما ضد المشروع اليهودي الغربي ، لأنه يحاول أن ينفيني ، ومع ذلك فالغرب به أناس يفتحون قلوبهم للإسلام ، ولديه علم وتقدم وتجارب إنسانية أن نستفيد بها ، وهناك دوائر في الغرب يمكنها أن تناصرنا وتساعدنا في الحفاظ على هويتنا . فالقضية ليست موقفنا من الغرب بل موقف الغرب منا .

سؤال : تحدثتم عن الغرب والعالم الإسلامي ، فما وسائل التصدي ؟

الجواب : الحقيقة أننا متعجلون . مهم أولًا أن نعي المخطط المطروح ثم نضع أنفسنا جزءًا من جهود الأمة ، خاصة أن بالأمة جهودًا تقاوم هذه المخططات ، ولو لم تكن هناك يقظة وحركة إيجابية في جسم الأمة لما كان هناك تصعيدٌ لهذا المخطط ؛ لأننا لو كنا أمواتًا لما ضُربنا بهذا الشكل ، والصمود البطولي الأسطوري الموجود مع القلة في العدة والعتاد في البوسنة شيء مثير لاندهاش العالم .

سؤال : يعتبر الغرب التدخل في شئون المسلمين حقًّا ، في نظره ، فلماذا لا نسمع صوتًا إسلاميًا داعيًا ينادي بتدخل المسلمين في الشئون الداخلية للغرب ؟

الجواب : (مقاطعًا السؤال) ؛ لأن هناك خطوطًا حمراء تجعلنا نتهم حكوماتنا بأنها غير مسلمة ؛ لأنها تترك البوسنة والصومال والهند يحدث فيها

ما يحدث ، وتبعية مجتمعاتنا للغرب تجعل هذه الخطوط الحمراء واضحة أمام أنظمتنا وحكوماتنا ، لذلك نقول : علينا أن نزرع طعامنا حتى تتحرر إرادتنا . ونقول لحكامنا : نريد كم حكامًا حقيقيين ؛ لأن هامش الحرية لكم يتقلص ، فالحكومات لا تستطيع أن تتخذ قرارًا اقتصاديًا أو سياسيًا بكل حرية بسبب التبعية . ونريد لهم أن يكونوا حكامًا حقيقيين ؛ لأن المعركة - بالدرجة الأولى - ليست بيننا وبين الحكام ، وإنما مع من يحاولون اقتلاعنا من ديارنا ، ومع الامتدادات السرطانية التي تمهد لهم هذه المخططات .

سؤال : وماذا عن السبيل لصد هجمات التنصير عنا ؟

الجواب : لننظر إلى الفقراء في بعض الأحياء - كمصر القديمة - حيث نجد الأولاد الصغار المسلمين يرتبطون بجمعيات تبشيرية ، وحينما نسألهم نفاجأ بهم يقولون : (أطعمونا كما تطعمنا هذه الجمعيات) . لابد من تكاتف أهل الخير والإغاثة .

سؤال : لقد رأيت التبشير بنفسي في الولايات المتحدة ؛ أين رجال الدعوة والأزهر والدول الإسلامية الغنية كالسعودية ؟

الجواب : الأزهر يمتلك دوره بصورة واعية جدًا ، وأشهد أن شيخ الأزهر لديه وعي بهذه المخططات على مستوى طيب ، لكننا نريد أن ندعم مؤسساتنا ؛ لأن مؤسساتنا أصيبت بالضعف والهزال ، نريد أن ندعم كل الجهود المخلصة ، وحبذا لو كل الإسلاميين امتدت بينهم وبين مؤسساتنا جسور ، خاصة تلك المؤسسات التي تدافع عن هوية الأمة ، كي تكون جبهة واحدة في مواجهة هذه المخططات .

سؤال : هل تعتقد أن هناك دورًا لإسرائيل واليهود في الولايات المتحدة الأمريكية في وصول د . غالي لمقعد الأمين العام للأمم المتحدة في هذه

الفترة بالذات ؟

الجواب : الحقيقة أن العوامل التي رشحت د . بطرس غالي آتية من تاريخه ومحيطه أجداده ، وكل الأمور تؤهله للقيام بدوره .

سؤال : ولماذا لم تتحرك الدولة العثمانية لإنقاذ الأندلس ؟

الجواب : هذا الكلام يوجَّه كنقد للدولة العثمانية . وعبد الرحمن الكواكبي هو صاحب هذا الكلام ؛ لأنه نقد الدولة العثمانية نقدًا شديدًا . والحقيقة أن العثمانيين دخلوا معارك كثيرة في وسط أوربا ، ثم التفتوا إلى الشرق ، وحينما تابعت تاريخ وسلسلة الحركة التي التفت حول العالم الإسلامي وصولًا للقلب الإسلامي ، أدركت لماذا جاء الفتح العثماني في ذلك التاريخ بعد هزيمة المماليك ١٥٠٤ م . أما لماذا لم يذهبوا للأندلس ؟ فأنا لست متخصصًا في هذه النقطة ، وأعتقد أن صديقنا العزيز المستشار طارق البشري له نظرات عظيمة في التاريخ العثماني ، وربما يجيب لنا عن هذا السؤال .

سؤال : الغرب خطط وأحكم قبضته على أمة الإسلام ، ولكن ماذا فعل المسلمون نحو هذه الخطط ؟

الجواب : الأمة نفسها فيها صحوة إسلامية ـ علماء وعامة ـ وفي جزء كبير من هذه الصحوة رفض المخطط الغربي ، فإذا كانت اليقظة الإسلامية بدأت بالأفغاني ومحمد عبده كحركة صفوة ، ثم حملها رشيد رضا على امتداد ٤٠ عامًا حتى جاءت الحركة الإسلامية كتنظيم جماهيري وتسلمت هذه الأمانة ، فبدايتها جاءت كموقف في مواجهة الإعصار الغربي . وكمثال ظللنا لعقود من الزمان تقتبس نساؤنا ملابسها من مصمم الأزياء الغربي ، لكن عندما نجد الحجاب

والحشمة الإسلامية تكتسح بلادنا فهذا موقف ورفض للغرب .

أحيانًا في بعض الندوات أجد الطلبة والطالبات يسألون أسئلة تفصيلية وجزئية لدرجة ـ أحيانًا ـ أن الإنسان يضيق بها ، لكن هذا حرص من الناس على تبين الحلال والحرام ، ولإحساسهم أن هذا المجتمع اختلط فيه العمل الطيب بالعمل الحرام ، وهذا نوع من رفض الحرام الذي دُس علينا .

وأقول : إن التدين الذي يقف حتى عند (الثياب / اللحية) هو أيضًا حركة رفض للغرب . ورسول الله ﷺ حينما كان يجد المشركين يفرقون شعرهم كان يرسل شعره ، وحينما يجدهم يرسلون شعورهم كان يفرق شعره . كل هذا من أجل الحرص على التميز ، وإن كنت أنا لست مع النقاب إلا أنني معجب به كموقف ضد الغرب . لا نطالب بالمغالاة في الرفض ، كرفض البعض لاستخدام أية أجهزة اخترعها الغرب ، ولكننا نريد للرفض أن يكثر من الجميع ويمارسه الجميع دون مغالاة ، نريد ظواهر تبرهن على علاقة المد الإسلامي برفض النموذج الغربي والهيمنة الغربية . نشكركم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكل عام وأنتم بخير ونحن على أبواب رمضان .

٢

الهجمة الأمريكية على الإسلام

ما أن وقعت الواقعة ، ونزلت « قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م » بأمريكا ، حتى أعلنت كثير من الدوائر الغربية ـ السياسية والفكرية والإعلامية والدينية ـ « حربًا عالمية » على الإسلام . وهي حرب ـ في ضوء ما أسلفنا الإشارة إليه ـ لم تبدأ من الصفر ، ولم تخترع جديدًا غير مسبوق ، في إطار « النزعة الصراعية » الغربية ضد الحضارة الإسلامية ، وإنما الجديد فيها هو « مستوى الحدة والغضب » الذي كشف الستار عن مكنونات « ثقافة الكراهية السوداء » التي يمور بها الموروث الثقافي الغربي تجاه الإسلام .

ولقد كان السعي إلى « علمنة الإسلام » وتحويله إلى صيغة نصرانية تقف عند العبادات والشعائر والوصايا الأخلاقية ، تاركة شئون الدنيا والدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد للنموذج الغربي والقيم الغربية ، هو القاسم المشترك في كثير من التصريحات والكتابات التي طفحت بها هذه الحرب الإعلامية الغربية على الإسلام وأمته وحضارته ، منذ ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م حتى الآن .

فالرئيس الأمريكي « **جورج بوش ـ الصغير** » – الذي أعلن حربًا عالمية قبل بدء التحقيقات في « قارعة سبتمبر » – قد وصف هذه الحرب ـ في ١٦ سبتمبر ـ بأنها « **حملة صليبية** » ، وذلك عندما وجه أصابع ـ بل وصواريخ ـ الاتهام إلى الإسلام المقاوم للاستعمار والصهيونية ، واصمًا كل ألوان المقاومة الإسلامية ، ومنظمات الجهاد الإسلامي ، التي تسعى لتحقيق التحرر الوطني وحق تقرير المصير « بالإرهاب » !

وفي ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠١م - أي بعد ستة أيام من الأحداث - وصف « توني بلير » - رئيس وزراء إنجلترا - هذه الحرب بأنها « **حرب المدنية والحضارة (في الغرب) ضد البربرية في الشرق !!** » .

وفي ٢٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م أعلن « سيلفيو بيرلسكوني » - رئيس وزراء إيطاليا - : « **أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية ، ولابد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام ، الذي يجب أن يهزم ؛ لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان . وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته ، وفرض نفسه على الشعوب . وأن الغرب قد نجح حتى الآن - في تعميم حضارته وفرض نفسه - مع العالم الشيوعي ، وقسم من العالم الإسلامي ...** » [(١)] .

وفي ٨ نوفمبر حدد الرئيس « بوش - الصغير » أن الحضارة الغربية - التي أعلن الحرب للدفاع عنها - هي حضارة اليهود والمسيحيين ، وأن هناك - في الجانب الإسلامي - من « **يحرص على قتل اليهود والمسيحيين** » ، ولذلك ، حمّل الرئيس « بوش » ملكًا عربيًا - هو ملك الأردن - « رسالة تحذير موجهة إلى عدد من الحكام العرب ، تطالب بضرورة أن يتوقف الإعلام في بلادهم عن « حملة الكراهية لأمريكا وإسرائيل » [(٢)] !

ووجدنا أحد أقباط المهجر - في أمريكا - والمشرف على « ملحق

---

(١) صحيفة (الحياة) لندن - في ٣٠ - ٩ - ٢٠٠١ م .

(٢) صحيفة (الأهالي) القاهرة - في ١٢ ١٢ - ٢٠٠١ م .

المهجر » في صحيفة (وطني) القبطية ـ مجدي خليل ـ يهاجم البرنامج التليفزيوني المصري « رئيس التحرير » ـ الذي يقدمه الإعلامي القدير الأستاذ حمدي قنديل ـ واصفًا هذا البرنامج « **بأن أكثر ما فيه دعائي تحريضي ، يحض على الكراهية ، وخاصة تجاه أمريكا وإسرائيل** » [١] !!

ثم توالت التصريحات غير المسئولة ! من « المسئولين » الغربيين ذوي التأثير في « صناعة القرار » الغربي فوجدنا :

* **السيناتور الديمقراطي الأمريكي « جوزيف ليبرمان »** ـ الذي كان مرشحًا لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأمريكية السابقة ، ومرشح الرئاسة القادمة ـ يعلن « أنه لا حل معُ الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية ، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية ، بل تتعداها إلى الدول الأخرى » [٢] .

أما وزير العدل الأمريكي « جون أشكروفت » فلا يكتفي بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية .. والخير ضد الشر .. والمدنية ضد التخلف .. وإنما يذهب ليتفوق على غلاة المنصرين ، عندما يسب إله العالمين ، الذي يؤمن به مليار ونصف مليار من المسلمين ، فيقول : « إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس ، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال

---

(١) صحيفة (وطني) القاهرة ـ في ٩ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م .

(٢) صحيفة (الأهرام) القاهرة ـ في ١٦ ـ ١ ـ ٢٠٠٢ م .

ابنه ليموت من أجل هذا الإله » [١] !

ووزيرة الخارجية الأمريكية السابقة « مادلين أولبرايت » تعلن : **« إننا ، معشر الأمريكيين أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب ، وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب »** [٢] !! .. فتتحدث بلغة النازية ، التي سبق وعانت هي منها !

ويعلن الكاتب الصحفي توماس فريدمان - اليهودي الأمريكي - القريب من دوائر صنع القرار السياسي : **« .. أن الحرب الحقيقية هي ضد الفكر الإسلامي .. والتربية والتعليم في المنطقة الإسلامية هي في المدارس ، ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية ضد ابن لادن بسرعة ، ونخرج .. وعندما نعود - (من أفغانستان) - يجب أن نكون مسلحين بالكتب الحديثة ، لا الدبابات .. وفقط ، عندما تنمو تربة جديدة ، وجيل جديد .. يقبل سياساتنا ، كما يحب شطائرنا .. وإلى أن يحدث هذا ، لن نجد أصدقاء لنا هنا »** [٣] .

ثم يكتب ، مهددًا المدارس الإسلامية ، التي تعترف مناهجها الدينية بكل النبوات والرسالات والشرائع ، وتقول حتى للمشركين ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ فيقول ، في معرض التهديد للمملكة العربية

---

(١) صحيفة (الشرق الأوسط) لندن - في ٢١ - ٢ - ٢٠٠٢ م .

(٢) صحيفة (الأهرام) القاهرة - في ٣٠ - ١٠ - ٢٠٠١ م .

(٣) (نيويورك تايمز) الأمريكية .. والنقل عن صحيفة (وطني) القاهرة - في ٢٥ - ١١ - ٢٠٠١ م .

السعودية ، بمقال صاغه في شكل رسالة من الرئيس « جورج دبليو بوش إلى الشيخ صالح الشيخ وزير الشئون الإسلامية في المملكة العربية الإسلامية التي تمولها حكومتكم وجمعياتكم الخيرية في مختلف أنحاء العالم ، تدرس أن غير المسلمين أدنى من المسلمين » .

ثم يطلب صياغة « إسلام مُعَدَّل » فيقول : « نريدكم أن تفسروا الإسلام على نحو يقدس التسامح الديني ، وإذا تعذّر عليكم أن تفعلوا هذا واجهتم مشكلة ، وباتت المملكة العربية السعودية ، في حربنا على الإرهاب ، كما كان الاتحاد السوفيتي في حربنا على الشيوعية : مصدرًا للأموال والأيديولوجية والأفراد وكل ما يشكل تهديدًا لنا » !

ثم يعلن الشعار الذي تبناه كثير من الكتّاب والمفكرين الغربيين : « لا نريد حربًا مع الإسلام ، نريد حربًا داخل الإسلام » [١] !!

وعندما يخضع حاكم باكستان للضغط الأمريكي ، ليس فقط بوضع القواعد العسكرية الباكستانية ، وكل إمكانات باكستان في خدمة الحملة العسكرية الغربية على أفغانستان منذ ٦ أكتوبر سنة ٢٠٠١ م - وإنما - أيضًا - بتنفيذ توجيهات أمريكا ضد التعليم الديني في باكستان . ويعلن « برويز مشرف » ذلك - في خطاب ١٢ - ١ - ٢٠٠٢م - عندئذ يتحول « مشرف » بنظر الغرب و « توماس فريدمان » من « ديكتاتور » تُفرض على بلده العقوبات بسبب « ديكتاتوريته » إلى بطل علماني ، يسير على طريق « أتاتورك » [١٨٨١ - ١٩٣٨ م] .

---

(١) (نيويورك تايمز) الأمريكية والنقل عن صحيفة (وطني) القاهرة - في ٢٣ - ١٢ - ٢٠٠١ م .

والنموذج العلماني المتوحش الذي قطع صلات تركيا بماضيها الإسلامي . فيكتب « توماس فريدمان » يقول : « إنه للمرة الأولى منذ ١١ سبتمبر ، يتجرأ قائد مسلم على الاعتراف علنًا بالمشكلة الحقيقية ، وهي أن التطرف الإسلامي ظل متجذرًا في الأنظمة التعليمية وترتيبات الحكم في العديد من المجتمعات الإسلامية ، وأنه تسبب في أن يعيش معظم العالم الإسلامي في حالة من التخلف ، لكنه - (الجنرال مشرف) - أيضًا رسم خريطة لطرق الخروج ، بعمل شيء ما لمواجهة ذلك الوضع، ليس بمجرد رمي المتطرفين في السجون ، لكن بمواجهة أفكارهم المتطرفة بالمدارس الحديثة والإسلام التقدمي . لقد تبني « مشرف » طموحات القطاعات الباكستانية العلمانية ، مخالفًا بذلك نهج الجنرال ضياء الحق « الذي بنى شرعيته وأسس حكمه على تحالف الجيش والمسجد » ، ومنذ ١١ سبتمبر ، صار واضحًا أننا نحتاج لحرب داخل الإسلام ، وليس حربًا مع الإسلام ، ولقد أقدم على القيام بالأمر نفسه بعض القادة العرب المسلمين ... »[١] .

أما الكاتب « ستانلي أ . فايس » فإنه يكتب - في (الهيرالد تريبيون » الدولية - معلقًا على توجه « الجنرال برويز مشرف » إلى تقليص التعليم الديني وعلمنته ، فيقول : « إن حقيقة الحرب على الإرهاب تكمن في : هل ستقوم الدول الإسلامية باتباع النموذج الاجتماعي - السياسي لتركيا ، أكثر النماذج نجاحًا في العالم ، كدولة مسلمة ، حديثة وعلمانية وديمقراطية ؟ أو نموذج العربية السعودية المبني على الرؤية الوهابية المتعصبة للأصولية

(١) (نيويورك تايمز) الأمريكية - والنقل عن (الشرق الأوسط) لندن - في ٢٢-١-٢٠٠٢م .

الإسلامية ، والذي يدفع معتنقيه قرونًا إلى الوراء ؟ » .

ثم يتحدث عن أهمية علمنة باكستان ، فيقول : « **إن أهمية باكستان « كنموذج » . فإذا أمكن لها أن تتبع طريق تركيا ، فإنه يمكن أن يحدث ذلك أيضًا في بلاد كإيران ودول جنوب آسيا ، وإذا فعل الرئيس « مشرف » كل هذا ، فإنه سَيَحِقُّ له أن ينال مجدًا يشبه مَجْد الأبطال الذي يعتز بكل منهم كمثله الأعلى : محمد على جناح ، العلماني ، الذي أسس دولة باكستان ، ومصطفى كمال أتاتورك ، الذي أجبر تركيا بإصرار شديد على أن تهجر ماضيها .. »**[1] .

لقد اعتمدت أمريكا ٢٠٠ مليون دولار « لتحديث وعلمنة » التعليم الديني في باكستان ، وذلك حتى تسير باكستان على درب تركيا الكمالية ، التي قطعت صلاتها بماضيها الإسلامي ، كما يقولون ويعلنون !

ولم تكن باكستان حالة فريدة للتدخل الأمريكي من أجل تقليص التعليم الديني الإسلامي و « تحديث » - أي علمنة - هذا التعليم ، فالنيوزويك الأمريكية تنشر للكاتب الأمريكي « جوناثان آلتر » مقالاً يعتبر فيه مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية وغيرها من البلاد الإسلامية « **نفايات ممتلئة بالكراهية لأمريكا وإسرائيل** » ، ويدعو إلى شن الحرب الفكرية ضد هذه المناهج ، بعد الفراغ من الحرب المسلحة

---

(١) (الهيرالد تريبيون الدولية) والنقل عن صحيفة (وطني) القاهرة - في ٢٧ - ١ - ٢٠٠٢ م .

في أفغانستان ، فيقول : « بعد أن يتم التخلص من ابن دلان ، على الولايات المتحدة أن تبدأ بالضغط على هذه البلاد ـ السعودية وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ـ كي تتخلص من أحاديث النفايات المعادية لأمريكا والمعادية للسامية في كتب مناهجها المقررة ، وأن تتوقف عن تمويل المدارس الدينية الممتلئة بالكراهية في جميع أنحاء العالم »[١] .

ثم يقدم السفير الأمريكي بالمملكة العربية السعودية مذكرة لحكومة المملكة ، تطلب فيها أمريكا « اختصار ساعات تدريس مواد العلوم الدينية من عشرين ساعة في الأسبوع إلى أربع ساعات فقط ، وبحيث لا يتجاوز تدريس تلك المواد حدود الأمور العبادية المباشرة ، التي تنصب على علاقة المرء بربه . الأمر الذي يعني استبعاد كل ما يتعلق بنظم المعاملات والحياة العامة ، وعلاقة المسلمين بغيرهم من المناهج ، كما طلبت الرسالة ـ المذكرة ـ أن يبادر المسئولون عن قطاع التربية والتعليم ، إلى مراجعة كل كتب العلوم الدينية في ضوء تلك المقترحات ، وعلى وجه السرعة ، بحيث تطبق المناهج الجديدة ابتداء من العام الدراسي المقبل ، وذلك لتجفيف ينابيع التطرف والإرهاب »[٢] .

وفي اليمن ـ وحتى لا يحدث لها ما حدث لأفغانستان ـ سارعت الحكومة بالاستجابة للضغوط الأمريكية ، فدخل العسكريون الأمريكان إلى البلاد لتدريب قوات مسلحة ، يقودها نجل رئيس الجمهورية ، متخصصة فيما يسمى بمحاربة الأصولية الإسلامية والإرهاب

---

(١) (النيوزويك) الطبعة العربية ـ في ٢٥ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م .

(٢) صحيفة (الأهرام) القاهرة ـ في ٢٥ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٢ م .

الإسلامي ! وتعدلت خطة وزارة التربية والتعليم اليمنية للعام الدراسي ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م بحيث تم تخفيض ساعات تدريس مادة القرآن الكريم ، اعتبارًا من الصف الخامس الأساسي حتى المرحلة الثانوية بنسب تتراوح بين ٢٥ ٪ إلى ٥٠ ٪ عما كانت عليه ، وخفضت حصص التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بنسبة ٢٥ ٪ ![1] ، هذا عن النزر اليسير الذي تسرّب إلى وسائل الإعلام .

وحتى منابر المساجد .. اعتمد لها الرئيس الأمريكي « بوش ـ الصغير » ملايين الدولارات ، لما سمي « **بدعم الأئمة المستنيرين** » الذين يطلب منهم « **ترويج أفكار الغرب ، وتشكيل الذهنية العربية لدى الجيل الجديد ، وإعادة صياغته تجاه الصراع العربي الإسرائيلي** » [2] !

بل لقد تجاوز التدخل الأمريكي في التعليم الديني بالبلاد العربية والإسلامية حدود المُطَالبة باختزال المناهج وساعات التدريس ، والاكتفاء من الإسلام بالجانب العبادي والشعائري ـ الفردي دون الاجتماعي ـ تجاوز الأمر هذه الحدود إلى حيث طلبت أمريكا تحويل المدارس إلى أجهزة مراقبة أمنية على المدرسين والطلاب ، لحساب أجهزة الاستخبارات ومكاتب التحقيقات الأمريكية ! « **فخصصت أمريكا لباكستان مائة مليون دولار ؛ لكي تراجع كتب الثقافة الإسلامية ـ وليس فقط المناهج المدرسية ـ وتحكم السيطرة على المدارس الدينية** ،

---

(١) صحيفة (العالم الإسلامي) مكة ـ في ١١ ـ ١ ـ ٢٠٠٢ م .

(٢) صحيفة (الأسبوع) القاهرة ـ في ٢٨ ـ ١ ـ ٢٠٠٢ م .

بحيث يُعَد ملف لكل أستاذ وطالب .. » [١] !

لقد أكدت هذه الحرب - التي أعلنتها أمريكا « على الإسلام - أو داخل الإسلام » - أن هدف « الغرب : السياسي » هو علمنة الإسلام ، وتحويله إلى صيغة نصرانية ، تقبل الفصل بينه وبين الدولة ، لإلغاء التميز الإسلامي ، وتسهيل إلحاق العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية بالنموذج الغربي ، تأييدًا وتأبيدًا للتبعية الحضارية ، وتكريسًا لعولمة التغريب . وفي هذا الإطار ، سارع المستشرق اليهودي الأمريكي « برنارد لويس » - بعد « قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م - إلى إصدار كتاب عنوانه (ما هو الخطأ الحادث في العلاقة بين الإسلام والغرب) وفي هذا الكتاب واصَل أطروحاته القديمة حول « أن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب » ، فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية - المسيحية (الغربية) ... وآيات القرآن - بزعمه - تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين ، وهذه الحرب - (التي أعلنها الغرب بقيادة أمريكا - بعد قارعة سبتمبر) هي برأي « برنارد لويس » - « حرب بين الأديان » [٢] ! .

والزعيم « الديني - السياسي » « بات روبرتسون » مؤسس جماعة التحالف السياسي المسيحي - التي تسيطر على الكونجرس الأمريكي ،

---

(١) فهمي هويدي - صحيفة (العربي) القاهرة - في ١٣ - ١ - ٢٠٠٢ م .

(٢) صحيفة (الأهرام) القاهرة - في ٢ - ٣ - ٢٠٠٢ م ، ٣ - ٣ - ٢٠٠٢ م - والأهرام ينقل عن مقال (النيوزويك) - بقلم « زاخاري كاربيل » في ١٤ - ١ - ٢٠٠٢ م .

وترى في دعم إسرائيل ، وهدم المسجد الأقصى ، وإقامة « الهيكل اليهودي » على أنقاضه ـ عقيدة دينية بروتستانية ، وتحقيقًا لشروط عودة المسيح إلى الأرض ؛ كي يحكمها ألف سنة سعيدة ، بعد إبادة العرب والمسلمين في معركة « هرمجدون » . هذا الزعيم الأمريكي هو مرشح أسبق للرئاسة الأمريكية ـ الذي يعد الرئيس الأمريكي وحزبه الجمهوري من أتباعه ـ يعلن « **أن الدين الإسلامي دعا إلى العنف ، وأنه بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية ، فإن أسامة بن لادن أكثر وفاء لدينه الإسلام من آخرين ، وأن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل** » [١] !!

أما « مارجريت تاتشر » ـ رئيسة وزراء إنجلترا الأسبق ـ فإنها تكتب عن « تحدي الإرهاب الإسلامي الفريد » الذي لا يقف عند أسامة بن لادن وأفغانستان ، وإنما يستوطن في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرها من الأماكن ، والذي يشمل حتى الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر ـ على أمريكا ـ والذين انتقدوا بشدة أسامة بن لادن وطالبان ، لكنهم « **يرفضون القيم الغربية ، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب** » . تصف « تاتشر » هؤلاء المسلمين الذين « يرفضون القيم الغربية وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب » بأنهم « أعداء أمريكا .. وأعداؤنا » ، وتشبههم بالشيوعية ، داعيةً الغرب إلى معاملتهم كما عامل الشيوعية ،

---

(١) صحيفة (الشرق الأوسط) لندن ـ في ٣ ـ ٣ ـ ٢٠٠٢ م ، وصحيفة (الحياة) لندن ـ في ٢٦ ـ ٢ ـ ٢٠٠٢ م .

وتقول : « **إن التطرف الأصولي ، كالبولشفية في الماضي ، يمثل مسارًا مسلحًا . إنه أيديولوجية عدائية يدفع بها أتباع متشددون ومسلحون بشكل جيد ، وكما هو حال الشيوعية ، فإنها تتطلب تبني استراتيجية طويلة المدى ليتسنى هزيمتها** » (١) .

أما وزير الداخلية في ألمانيا « أوتو شيلي » فلقد والى التصريحات المعادية للإسلام وأمته وحضارته حتى لقد وصف « **عقيدة الإسلام بأنها هرطقة وضلال** » (٢) !

أما الروائي الفرنسي « ميشيل هويلبيك » فلقد وصف الإسلام - في روايته « منصة » - بأنه « **دين ظهر في الصحراء ، وسط الأفاعي والجمال والحيوانات المفترسة من كل نوع** » !

ثم استطرد قائلاً : « **هل تعلم كيف أُسمي المسلمين ؟ إني أُسَمِّيهم حُقراء الصحراء . فهذا هو الاسم الذي يستحقونه** » !

في حديثه إلى مجلة « لوفيجارو » - الفرنسية ، بتاريخ ٢٥ - ٨ - ٢٠٠١م - قال : « **إن قراءة القرآن مثيرة للتقزز ، وإن الإسلام دين عدواني ، لا متسامح ، يجعل الناس أشقياء تعساء** » (٣) .

---

(١) صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية والنقل عن صحيفة (الشرق الأوسط) لندن - في ١٤ - ٢ - ٢٠٠٢ م .

(٢) صحيفة (الأهرام) القاهرة - في ٢ - ٣ - ٢٠٠٢ م .

(٣) صحيفة (الشرق الأوسط) لندن - في ١٠ - ٩ - ٢٠٠١ م ، وصحيفة (العربي) القاهرة - في ٩ - ١١ - ٢٠٠٢ م .

وهو في هذا يسير على خطى « الأدباء » الذين حققوا شهرتهم في الغرب بالتهجم على الإسلام . من سلمان رشدي .. إلى « نايبول » ، الذي منحته « نوبل » جائزتها سنة ٢٠٠١ م .

أما أشهر كتّاب ومفكري الاستراتيجية في أمريكا ـ « صموئيل هنتجتون » ، و « فرانسوو فوكوماما » ـ فإنهما يعلنانها صريحة لا مواربة فيها : « حرب داخل الإسلام .. حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية ، والعلمانية الغربية ، والمبدأ المسيحي : فصل الدين عن الدولة » .

فـ « هنتنجتون » ، يعيد التأكيد على مقولة « صدام الحضارات » فيقول : « إن عناصر صدام الحضارات متوافرة ، وإن رُدُود الفعل تجاه أحداث ١١ سبتمبر تمت في حدود الخطوط والأُطر الحضارية بشكل صارم ، والصحوة الإسلامية هي رد فعل تجاه الحداثة والتحديث والعولمة ، ومع ذلك ، فإن عصر حروب المسلمين له جذوره في أسباب أكثر عمومية ، وهذه الأسباب تعني العقيدة الإسلامية والقناعات الإيمانية في الإسلام .. » (١) .

أما « فوكوياما » فإنه يعيد تأكيد مقولته الشهيرة عن أن النموذج الليبرالي الرأسمالي الغربي هو نهاية التاريخ ، الذي يجب تعميمه في سائر أنحاء العالم « فالحداثة ـ (التي تعني في المصطلح الغربي : القطيعة المعرفية مع الموروث الديني ، وجعل الإنسان سيد الكون ، ومحور

---

(١) مجلة (النيوزويك) الأمريكية العدد السنوي الخاص ـ ديسمبر سنة ٢٠٠١ م ـ فبراير سنة ٢٠٠٢ م .

الثقافة ـ بدلاً من الله ـ وإحلال العقل والعلم والفلسفة محل الله والدين) ـ هذه الحداثة ـ كما يكتب « فوكوياما » ـ « التي تمثلها الولايات المتحدة وغيرها من الديموقراطيات المتطورة ، ستبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية ، والمؤسسات التي تجسد مبادئ الغرب الأساسية في الحرية والمساواة ستستمر في الانتشار عبر العالم » .

ثم يناقش « فوكوياما » قضية القوى والحضارات القابلة للحداثة الغربية ومنظومة قيمها ، والقوى والحضارات الرافضة لهذه الحداثة وقيمها ، والتي تمثل « مشكلة » أمام تعميم هذه الحداثة عبر العالم ، فيقول : « **هنالك ، في الحقيقة ، أسباب للاعتقاد بأن القيم والمؤسسات الغربية تلقي قبولاً كبيرًا لدى الكثير من شعوب العالم غير الغربية ، إن لم نقل جميعها** » .

وبعد أن يؤكد على النشأة الغربية والمسيحية لهذا النموذج المراد تعميمه وعولمته ، وعلى « العلاقة التاريخية بين كل من الديمقراطية والرأسمالية مع المسيحية ، وحقيقة أن الديموقراطية تملك جذورها الثقافية في أوربا .. وأن هذه الديموقراطية الحديثة تملك جذورها الثقافية في أوربا ، وأن هذه الديموقراطية الحديثة – كما أشار الفلاسفة من « أليكسيس دي توكوفيل » و « جورج هيجل » [١٧٧٠ - ١٨٣١ م] إلى « فريدريك نيتشه » [١٨٤٤ - ١٩٠٠ م] – هي نسخة علمانية للمبدأ المسيحي في المساواة الإنسانية عالميًا .. » . تساءل « فوكوياما » تساؤلًا يذكرنا بدراسة مجلة (شئون دولية) سنة ١٩٩١ م ، هل هناك قوى وحضارات رافضة لقبول هذه الحداثة وهذه

العلمانية ؟ وبعبارته : « **فإن السؤال الذي نحتاج إلى طرحه هو : هل هناك ثقافات أو مناطق في العالم ستقاوم ، أو تثبت أنها منيعة على علمية التحديث ؟** » .

ثم يجيب « فوكوياما » على هذا التساؤل ، بذات الإجابة التي سبق وقرأناها في دراسة مجلة (شئون دولية) قبل عقد من الزمان ، فيقول : « **إن الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي يمكن الجدال بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة ، فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم ، فهو وحده قد ولّد تكرارًا خلال الأعوام الأخيرة حركات أُصولية مهمة ، ترفض لا السياسات الغربية فحسب ، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة : التسامح الديني ، والعلمانية نفسها . فما يكرهه المسلمون هو أن الدولة في المجتمعات الغربية يجب أن تكرس التسامح الديني والتعددية بدلاً من خدمة الحقيقة الدينية** » .

ونحن نلاحظ أن « فوكوياما » يجهل أن الإسلام يرى التعددية قانونًا كونيًا في كل عوالم الخلق والنظم والأفكار ، دون أن تكون هذه التعددية وهذا التسامح الديني نقيضًا للحقيقة الدينية ، كما نلاحظ أن الرجل يبلغ أقصى درجات التناقض عندما يزعم الإيمان بالتعددية ، ثم ينكر على الإسلام والمسلمين التميز عن النموذج الغربي ، إعمالاً لمبدأ التعددية !! .. فيذهب إلى أن المشكلة هي رفض الإسلام الانصياع ، كغيره ، لهذه الحداثة والعلمانية الغربيتين !! فيقول : « **إنه بينما تجد شعوب آسيا وأمريكا اللاتينية ودول المعسكر الاشتراكي السابق وأفريقيا**

الاستهلاكية الغربية مغرية ، وتود تقليدها لو أنها فقط استطاعت ذلك ، فإن الأصوليين المسلمين يرون في ذلك دليلاً على الانحلال الغربي » .

وبدلاً من أن يحترم « الليبرالي » فوكوياما حق المسلمين في التميز الحضاري والقيمي عن الحداثة والعلمانية والاستهلاكية الغربية ، نراه يصف هذه الرغبة الإسلامية في التميز القيمي وفي الاستقلال الحضاري بأنها مشكلة المشاكل ، التي لابد من شن الحرب عليها .. الحرب داخل الإسلام ، في سبيل تطويعه لقبول النموذج الحضاري الغربي .. وفي ذلك يقول : « **إن المسألة ليست ببساطة « حربًا » على الإرهاب ، كما تظهرها الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم - [؟ !] - وليست المسألة الحقيقية - كما يجادل الكثير من المسلمين - هي السياسة الخارجية الأمريكية في فلسطين ، أو نحو العراق . إن الصراع الأساسي الذي نواجهه ، لسوء الحظ ، أوسع بكثير وهو مهم ، ليس بالنسبة إلى مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، بل لمجموعة أكبر من الراديكاليين الإسلاميين ، ومن المسلمين الذين يتجاوز انتماؤهم الديني جميع القيم السياسية الأخرى . إن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب ، ولا ضد الإسلام كدين أو حضارة ، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية - الفاشية الإسلامية - غير المتسامحة ، التي تقف ضد الحداثة الغربية . وإن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحديًا أيديولوجيًا هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية » .**

ثم يتحدث « فوكوياما » عن « التطور الأهم » الذي يجب أن

يحدث للإسلام ، والذي يجب أن يتم داخل الإسلام ، لتعديل الإسلام حتى يصبح قابلاً للحداثة الغربية والعلمانية الغربية .. فيقول : « **إن التطور الأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه ، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة ، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية .. وإن هناك بعض الأمل في ظهور فكر إسلامي أكثر ليبرالية ؛ بسبب المنطق الداخلي للعلمانية السياسية** » .

ثم يختم « فوكوياما » هذا المقال ـ الذي يرى ـ بعبقرية ـ أن جذور الصراع هي بين استقلال الحضارة الإسلامية وبين تبعيتها للنموذج الغربي ، وهي جذور أعمق من السياسة الخارجية الأمريكية ومن العنف الإسلامي المقاوم لها ، لأن هذه الجذور هي الباعث الأول على هذه السياسة الأمريكية تجاه قضايا الإسلام والمسلمين ـ يختم « فوكوياما » مقاله بالتأكيد على حتمية انتصار الغرب على الإسلام ـ في المدى البعيد ـ وذلك بشرط انتصار الغرب على الإسلام في المدى القصير ! .. فيقول : « **إن المؤسسات الغربية تسيطر على الأوراق كلها ، ولذلك فهي ستستمر في الانتشار في أنحاء العالم على المدى الطويل ، لكن الوصول إلى هذا المدى يتطلب أن نبقى أحياء على المدى القصير** » [1] .

فالقضية ـ في التحليل الأعمق ـ ليست ما يسميه الغرب « بالإرهاب » ولا هي ذلك الذي حدث في أمريكا يوم الحادي عشر من سبتمبر سنة

(١) (نيوزويك) الأمريكية العدد السنوي : ديسمبر سنة ٢٠٠١ م ـ فبراير سنة ٢٠٠٢ م .

٢٠٠١ م ، بل ولا حتى السياسة الخارجية الأمريكية في فلسطين ، وإزاء العراق ، فكل ذلك وغيره تجليات للصراع بين النزوع الإسلامي إلى التمايز الحضاري والاستقلال القيمي والثقافي ، وبين النزوع الغربي لفرض حداثته وعلمانيته على العالم ، وعلى الإسلام وأمته وحضارته بوجه خاص .

وحتى لا يخلط الوهم بين هذه الحداثة الغربية - التي يريدون فرضها علينا - وبين التجديد والتطور والتقدم ، الذي تحتاجه مجتمعاتنا الإسلامية وفكرنا الإسلامي ، أي حتى لا تختلط أوراق « الالتحاق بالغرب » بأوراق « الإصلاح بالإسلام » ، نقدم تعريفًا غربيًا لهذه الحداثة التي يريدون فرضها علينا ، والتي أقامت وتقيم قطيعة معرفية كبرى مع الدين ، حتى إنها وإن استخدمت - في تعبيراتها - بعض المصطلحات الدينية ، فإنها تفرغها من محتواها الديني ، إما بالتأويل لكل النصوص الدينية ، وإما بجعل « التاريخية .. والتاريخانية » أداة لتجاوز الدين وأحكامه ، عندما ترى التطور التاريخي والتغيرات الواقعية قد نسخت هذا الدين . يقول هذا التعريف الغربي لهذه الحداثة الغربية - التي هي ثقافة الفلسفة الوضعية العلمانية اللادينية للتنوير الغربي :

« إنه بعد أن كان المسيحي حريصًا على طاعة الله وكتابه ، لم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله ، فأيديولوجية التنوير قد أقامت القطيعة الأبستمولوجية (المعرفية) الكبرى ، التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية : عصر (الخلاصة اللاهوتية) للقديس « توما الأكويني » (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م) ، وعصر (الموسوعة) لفلاسفة التنوير . فمنذ الآن فصاعدًا راح الأمل بمملكة الله ينزاح لكي يخلي المكان لتقدم

عصر العقل وهيمنته ، وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة . لقد أصبح الإنسان وحده مقياسًا للإنسان ، وأصبح حكم الله خاضعًا لحكم الوعي البشري ، الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية . ويمكن للمعجم اللاهوتي القديم أن يستمر ، ولكنه لم يعد يوهم أحدًا ، فنفس الكلمات لم يعد لها نفس المعاني »[١]

فالإنسانية - في هذه الحداثة - هي العلمانية ، التي تجعل العالم مكتفيًا بذاته ، والإنسان مكتفيًا بذاته عن التدبير الإلهي للعالم والإنسان ؛ لأن هذا الإنسان - في هذه الحداثة - هو سيد الكون ، وهو - وحده - محور الثقافة الحداثية .. والدين - في المصطلح الحداثي - هو « الدين الطبيعي » ، الذي هو إفراز للعقل البشري في مرحلة طفولة هذا العقل ، وليس « الوضع الإلهي » الذي أوحاه الله إلى الرسل والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

ولقد كان الوعي الإسلامي - في مدرسة الإصلاح بالإحياء والتجديد عميقًا بالطابع اللاديني لهذه الحداثة الغربية ، منذ تبلور هذه المدرسة على يد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) الذي تحدث عن الطابع الدهري لهذه النزعة عند « فولتير » (١٧٣٤ - ١٧٧٨ م) و « روسو » (١٧١٢ - ١٧٧٨ م) اللذين - كما يقول الأفغاني - « يزعمان حماية العدل ، ومغالبة الظلم ، والقيام بإنارة الأفكار

(١) إميل بولا . الحرية ، العلمنة : حرب شطري فرنسا ومبدأ العدالة .- باريس : منشورات سيرف ، ١٩٨٧ . نقلا عن هاشم صالح .. « مجلة الوحدة » .- الرباط عدد فبراير - مارس سنة ١٩٩٢ م ص ٢٠ ، ٢١ .

وهداية العقول ، فنبشا قبر أبيقور الكلبي (٣٤١ - ٢٧٠ ق . م) وأحيا ما بلي من عظام الدهريين ، ونبذا كل تكليف ديني ، وغرسا بذور الإباحية والاشتراك ، وزعما أن الآداب الإلهية جَعْليّات خرافية ، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني ، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية ورفع كلٌّ عقيرته بالتشنيع على الأنبياء (برأهم الله مما قالا) . وكثيرًا ما ألف « فولتير » من الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيب ما جاءوا به ، فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنساويين ، ونالت من عقولهم ، فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم . وبعد أن أغلقوا أبوابها فتحوا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة (في زعمهم) شريعة الطبيعة .. »[1] .

فهذه الحداثة الغربية ، التي يريد الغرب فرضها على الإسلام وثقافته ، والتي تصاعدت حدة الهجمة الغربية لتحقيقها بعد « قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م » بأمريكا ، هي الثقافة اللادينية ، المتمحورة حول « الإنسان الطبيعي » ، لا الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه ، والذي هو عبد للّه وخليفة له ، والدين - في هذه الحداثة - إذا استخدمت مصطلحاته ، إنما هو « الدين الطبيعي » ، وليس وحي الله ، سبحانه وتعالى ، إلى الرسل والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

وقد لا يصدق البعض أن عملاء هذه الحداثة - من أبناء جلدتنا - بدلاً من أن يَرْعَووا وينحازوا إلى أمتهم وحضارتهم الإسلامية ودينهم

---

(١) جمال الدين الأفغاني . الأعمال الكاملة / دراسة وتحقيق محمد عمارة . - القاهرة ، ١٩٦٧ . ص ص ١٦١ ، ١٦٢ .

الإسلامي ، في مواجهة هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وحضارته ، رأينا هؤلاء العملاء يرفعون عقيرتهم بمقولات هذه الحداثة ، ظانين أن تصاعد الحرب الغربية على الإسلام هي فرصة ذهبية لتحقيق مقاصدهم الحداثية في نسخ الإسلام وتأويل نصوصه التأسيسية ، وطي صفحة عقائده وشريعته بدعوى تاريخية الأفكار والأحكام ، بل والتبشير « بالدين الطبيعي » بدلاً من « الدين الإلهي » ، حتى لكأنهم « غلاة السلفية » ـ سلفية التغريب ـ التي لا تزال تردد كالببغاء ذلك الهذيان اللاديني الذي انتقده جمال الدين الأفغاني ، وهو يتحدث عن فلاسفة التنوير الوضعي والحداثة اللادينية عند « روسو » و « فولتير » !

لقد كتب واحد من أنشط المبشرين بهذه الحداثة الغربية ـ بعد أحداث سبتمبر ـ وإعلان الغرب الحرب لتحديث الإسلام وعلمنته ، مهللاً ومستبشرًا « بهذه الفرصة الذهبية » التي أتاحتها هذه الهجمة على الإسلام لهذه الحداثة ، التي يبشر بها .

فمع الهجمة الغربية ـ والأمريكية أساسًا ـ على التعليم الديني الإسلامي ، دعا هذا « الحداثي » إلى إلغاء مؤسسات العلم الديني الإسلامي ، وبنص عبارته : « فبمواجهة كل كلية شريعة أو معهد ديني ينبغي أن نؤسس كليات لتدريس تاريخ الأديان المقارن ، أو علم الاجتماع الديني . هذا أهم من تدريس الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو قل إن له الأولوية حاليًا » .

ومع الدعوات الغربية إلى « حرب داخل الإسلام » تُسْفِر عن

« إسلام ليبرالي » يتسامح مع الذين يحتلون الأرض الإسلامية وينهبون الثروة القومية ، ويمسخون الهوية الحضارية ، دعا هذا « الحداثي » إلى استبدال « الدين الطبيعي » بديننا الإلهي ، فعنده ، وبصريح عبارته : **« فإننا يجب أن نلتحق بفولتير وتصوره الطبيعي عن الدين والأخلاق ، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي .. وإن العبرة هي بأعمال الإنسان وليس بمعتقداته ، أو حتى صلواته وعباداته .. ولابد من تأويل جديد لتراثنا يختلف عن تأويل الأصولية ، بل وينقضه .. تأويل يكشف عن تاريخية النصوص التأسيسية ، ويحل القراءة التاريخية ـ أي التنويرية ـ محل القراءة التبجيلية لهذا التراث .. »** [1] !!

فالهدف هو « تحديث الإسلام » بتأويل نصوصه التأسيسية ـ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ـ ونسخ عقائده وأحكامه ـ أي علمنة الدين ـ بتطبيق « التاريخية والتاريخانية » التي تُنكر الثبات والإطلاق والخلود عن جميع مكونات هذا الدين ، وإحلال « الدين الطبيعي » الذي بشر به « فولتير » محل « الدين الإلهي » الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين ، عليه الصلاة والسلام .

---

(١) هاشم صالح : صحيفة (الشرق الأوسط) لندن ـ في ١٣ ـ ١٢ ـ ٢٠٠١ م « وجدير بالذكر أن هاشم صالح هذا هو القائم على ترجمة المشروع الفكري للدكتور محمد أركون ، المكرس لتحديث الإسلام وعلمنته ، والذي عرّف الحداثة عنده « شاهد من أهلها » هو الدكتور علي حرب ، عندما قال : إن هذه الحداثة تعني « القول بمرجعية العقل وحاكميته .. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون » !! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

ولون ثان من ألوان هذه « العمالة الحداثية » التي انتعشت في ظلال حرب الهجمة الغربية على الإسلام بعد « قارعة سبتمبر » - وجدناه في كتابات ذلك الذي افترى على القرآن الكريم ؛ ليؤكد الافتراءات الغربية حول صدور « الإرهاب » عن آيات هذا القرآن الكريم ، فكتب هذا « الحداثي » يقول : « **يجب علينا عدم المراوغة للتهرب من الإجابة عن السؤال التالي :**

- لماذا يستشهد المسلمون دائمًا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز الوجه السلمي المتسامح للإسلام ، ويتجاهلون النصوص الأخرى التي تحض على القتال والقتل والإرهاب ؟ » .

ثم يستطرد ، في طعنه بالقرآن ، واتهام آياته بالحض على قتال الآخرين وقتلهم وإرهابهم ، فيقول : « **في الإجابة الدفاعية الاعتذارية - [عن هذا السؤال] - يتم تجاهل النصوص التي تحض على القتال والتربص للمشركين في كل مكان ، أو يتم اللجوء إلى توظيف مقولة « النسخ » رغم كل ما تثيره من مشكلات من الوجهة اللاهوتية ، فالنصوص التي تحض على القتال والتربص بالمشركين نزلت بعد النصوص التي تؤكد التسامح والمساواة بصرف النظر عن اللون أو اللغة أو حتى العقيدة** » [١] !!

وهذا الافتراء على القرآن الكريم بادعاء أن فيه آيات تحض على القتال والتربص بالمشركين في كل مكان ، وعلى القتل والإرهاب

---

(١) نصر حامد أبو زيد . الإسلام والغرب : حرب الكراهية .- « مجلة وجهات نظر » القاهرة (يناير ٢٠٠٢) .

لهؤلاء المشركين ، يَجهل أو يَتجاهل الحقائق القرآنية الصلبة والعنيدة التي تتجلى ناصعة من خلال استقراء جميع الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر القتل والقتال .

فالقرآن ـ على عكس كل الفلسفات التي رأت في القتال « غريزة طبيعية » لصيقة بالإنسان ، يرى القتال استثناءً وشذوذًا عن الطبيعة الإنسانية ، وأنه « مفروض .. ومكروه » ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، ويؤكد على هذا البلاغ القرآني الفريد البيان النبوي لهذه الحقيقة القرآنية ، فيقول رسول الله ﷺ لصحابته : « لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، لكن إذا لقيتموهم فاثبتوا ، وأكثروا ذكر الله » ـ رواه الدارمي ـ .

وجميع آيات القرآن الكريم ، التي وردَ فيها « الإذن بالقتال » أو « التحريض عليه » قد وردت في مقام رد العدوان الذي وقع من الأعداء المقاتلين للمسلمين ، بالفتنة لهم في دينهم ـ وهي أشد من القتل ـ أو بإخراج المؤمنين من ديارهم أو المظاهرة على الإخراج من الديار ، لا لشيء إلا لأن المؤمنين قد قالوا : ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ وما عدا هذين الموقفين ـ رد عدوان الفتنة في الدين ، ورد عدوان الإخراج من الديار ـ فلا يجوّز القرآن للمسلمين أي قتال للآخرين ، بل إنه البر والقسط مع هؤلاء الآخرين .

هذا هو الموقف القرآني في كل الآيات التي ورد فيها مصطلح « القتال » بما في ذلك آيات سورة « براءة » ـ التي يلحد إليها هذا « الحدائي » ـ والتي تتحدث عن التربص والقتال للمشركين المقاتلين ، فهذه الآيات تميز في

المشركين بين المعاهدين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٤] ، تميز هذه الآيات بين هذا الصنف من المشركين ـ المعاهدين والمحترمين للعهود ـ وبين الصنف الآخر من المشركين الذين لا عهد لهم ، والذين ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة : ١٠] ، فالتربص والقتال ليس لمطلق المشركين ولا لكل المخالفين ، وإنما هو رد لعدوان الذين نقضوا العهود ونكثوا الأيمان وأخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٣] .

وهذا هو ذات الموقف القرآني من القتل والقتال في كل السور وفي جميع الآيات .

« **فالإذن** » للمؤمنين بالقتال إنما هو للذين سبق واعتدوا على المؤمنين بإخراجهم من ديارهم ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج : ٣٩ ـ ٤٠] .

« **والأمر** » للمؤمنين بالقتال ، هو أيضًا خاص بقتال الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم واعتدوا عليهم وفتنوهم في دينهم ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٠ - ١٩٢] .

وهكذا كل آيات القرآن الكريم ، لا تُبيح القتال ، ولا تأذن به ، ولا تُحرِّض عليه إلا لردِّ عدوان الذين اعتدوا على المؤمنين بإخراجهم من ديارهم أو بالفتنة لهم في دينهم . ثم جاءت آيات سورة الممتحنة ٧ ، ٨ ، ٩ ـ لتُقنِّن العلاقة بالآخر ، ولتقرر أن القتال لا يجوز إلا في هذه الحالات حصرًا ـ ضد الذين يفتنون المؤمنين في دينهم ، وضد الذين يخرجون المؤمنين من ديارهم أو يظاهرون على هذا الإخراج ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة ٧ - ٩] .

هذا هو الموقف القرآني من القتل والقتال ، وهو الموقف الذي جسَّدته السنة النبوية في القتال للمعتدين فقط ، ووفق المعيار القرآني ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

فأين هذا الذي يجب أن نعتذر عنه ، من آيات القرآن ، للغرب الذي يتهم إسلامنا بالإرهاب والعدوان ؟ ! .. وأين هي « الثغرات » التي تُوهم « عملاء الحداثة الغربية » أن الفرصة قد سنحت لهم ؛ كي يطعنوا بها الوحي الإلهي وثقافة الأمة التي إليها ينتسبون ؟ !

ونموذج ثالث من نماذج « العمالة الحداثية للغرب » تَجاهل صاحبه ما طفحت وتطفح به الثقافة الغربية من ألوان الكراهية السوداء للإسلام وأمته وعالمه وحضارته ، فأخذ يتهم ثقافتنا نحن بالتعصب الذي يُغَذِّي ثقافة الإرهاب . كما تجاهل هيمنة الغرب ، التي بلغت مرحلة « جنون القوة » في تعاملها مع بلادنا العربية والإسلامية ومع قضايا أمتنا العادلة ، فتحدث عن الموقف ـ بعد أحداث ١١ سبتمبر ـ وكأنما نحن « المجرومون المذنبون ! »

فقال هذا « الحداثي » ـ الذي قبل « التطبيع » مع رموز الصهيونية ، ومع « جون جارنج » ، وأبى « التطبيع » مع هوية الأمة ! ـ قال : « **لم أُدهش عندما أعلنت المخابرات الأمريكية أن أكثر دول قدمت عددًا كبيرًا من التنظيمات المعروفة بالتعصب الديني كانت من السعودية ومصر ، وهذا الأمر كان معروفًا في الكواليس ؛ لأن مجمل سياسات هذه الدول في مجالات صياغة الوجدان الثقافي والإنساني لمصر كانت في هذا الاتجاه ، ودون إعلان وثيقة أو خط سياسي كانت الدولة تمارس أمرين : الأول : أمر أمني لضرب الإرهاب ، والآخر : بالمزايدة على الفكر المتطرف . وأن الدولة تتبناه باعتباره الدين الصحيح حتى تجتذب التأييد الشعبي في هذا الظرف الدقيق** » .

وبعد هذا التأييد والتنظير لما أعلنته المخابرات الأمريكية ضد مصر والسعودية ، لم تستحِ هذه « العمالة الحداثية » من تبرير العدوان الأمريكي على بلادنا ، ومن شمول هذا العدوان مصر والسعودية ، وكأنما هذا العدوان أمرًا مشروعًا !!

أي والله ! حدث هذا .. واستطرد هذا « الكاتب » ليقول : « **وعندما جاءت أحداث ١١ سبتمبر واهتزت أمريكا ، وأدركت أن الإرهاب ظاهرة دولية يمكن أن تفترسها ، أنفقت بالملايين على أجهزة مخابراتها ، فأدركت بأن للإرهاب والفكر المتعصب أماكن وبؤرًا ينمو فها وفق مخططات مدروسة لدول بعينها . وهكذا تحركت أمريكا في اليمن والصومال وإيران وباكستان والهند والسعودية ، ولابد أنها ستتحرك إن آجلًا أو عاجلاً في مصر .. »** [(١)] !!

هكذا بلغت « العمالة الحداثية » حد اتهام وطننا مصر بالتخطيط المدروس لتنمية ثقافة التعصب والإرهاب ، بل واقتربت من حد استعداء أمريكا للتحرك نحو مصر « **إن عاجلاً أو آجلاً** » !

ونحن نسأل : هل هناك فارق بين هذه « الأفكار » التي تُسَمِّي ثقافة الأمة الإسلامية « أُصولية وتعصّبًا وتطرفًا وفاشية » ، وبين الموقف الصهيوني الذي جعل إسرائيل تشيع ذات الفكر ونفس الموقف ، على لسان العديد من قادة كيانها العدواني ، ومنهم « بنيامين نيتانياهو » ، الذي كتب في كتابه (مكان تحت الشمس » يقول : « **إن الإسلام الأصولي يهدف إلى**

---

(١) د . ميلاد حنا ـ صحيفة (أخبار الأدب) القاهرة ـ في ٩ ـ ١ ـ ٢٠٠٢ م .

السيطرة على العالم كله ، وإلحاق الهزيمة بالكفار غير المسلمين في حرب مقدسة هي الجهاد ، وأصبحت المشكلة الكبرى في الشرق الأوسط هي الإسلام المتطرف ؛ ولذا فإن الأمن يسبق السلام ، ومن لا يدرك ذلك فمصيره إلى الفناء » (١) !

فهل أصبح الموقف الصهيوني من الإسلام المجاهد في سبيل تحرير الأرض والمقدسات ، أمرًا مسلمًا ، يحتذيه ويقتدي به « الحداثيون » الذين وضعوا أنفسهم وأقلامهم في صف الحملة المسعورة على الإسلام والمسلمين !

ونموذج رابع من نماذج « العمالة الحداثية لأمريكا والغرب » أشار إليه الكاتب اليهودي الأمريكي « توماس فريدمان » ، عندما كتب عن زيارته للمملكة العربية السعودية - في فبراير ستة ٢٠٠٢ م - فهناك ، وأثناء لقاءاته وحواراته مع « النخب » السعوديين ، اتهم المملكة بأنها « قد أصبحت مصدرًا للمال وللتنظير الإسلامي لأولئك الذين يتهددون أمريكا الآن » . ولقد سمع « فريدمان » من القطاع الوطني في النخبة السعودية ما أغضب صلفه الأمريكي وتعصبه الصهيوني ، عندما قال له هؤلاء المثقفون السعوديون الأحرار : « **إن اليهود يسيطرون على حكومة الولايات المتحدة ، وأنهم يحتلون الكونجرس الأمريكي ، وأن ذلك يُمثّل صلب المشكلة .. وأن الخاطفين للطائرات في أحداث سبتمبر إنما كانوا يعبرون عن الغضب العربي من التأييد الأمريكي الأعمى للعنف**

---

(١) أمين هويدي - صحيفة (الأهرام) القاهرة في ٥ - ٣ - ٢٠٠٢ م .

الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين » .

ولقد انسحب « فريدمان » من جلسة الحوار التي سمع فيها هذه الحقيقة !! وكاد يعلن يأسه التام من كل السعوديين ، لولا أن نفرًا من « العملاء الحدائيين » قد أسرَّ إليه ما أسعده وشرح صدره ، فلقد قال له هؤلاء « **العملاء الحدائيون** » - الذين ضربت عقولهم في مصانع الحدائة الأمريكية - إن المشكلة المزمنة في « **النظام العشائري** » ببلادهم ، وهو الذي يجعل المجتمع يقف مع الشريحة من أبنائه الذين يرفضون سياسات أمريكا !!

يحكي « توماس فريدمان » ما أَسَرَّه إليه - في لقاء خاص - هؤلاء « العملاء الحدائيون » ، فيقول : « **كنت على وشك استنتاج أن الفجوة الثقافية بيننا شاسعة ، ولا يمكن تجاوزها ، لو أنني لم ألتق بقلة من السعوديين الذين تلقوا تعليمهم في الولايات المتحدة ، وأعربوا لي - على انفراد - أنهم يتفقون معي في ما طرحته ، حيث قال لي أحدهم : « إن العقلية العشائرية هنا راسخة للغاية ، وفي الصحراء ، عندما تتعرض عشيرة للهجوم ، لابد أن يقف الجميع معًا . فالناس يعلمون بأن هناك مشاكل متعلقة بنظامنا التعليمي الإسلامي ، وبعضهم يشعرون بسعادة لأنك تمكنت من الحديث عنها . لكنهم يشعرون بأنهم معرضون للخطر ، ولذلك فإنهم لن يتحدثوا بصراحة معك** » [1] !!

فهؤلاء « العملاء الحدائيون » الذين « وَالوا » الصهيوني « توماس

---

(١) صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية والنقل عن صحيفة (الشرق الأوسط) لندن في ٢٥ - ٢ - ٢٠٠٢ م .

فريدمان » ، قد أعلنوا « البراءة » من آبائهم وعشائرهم ! ثم هم قد أعمتهم « **الحداثة الغربية** » عندما خلطوا بين التضامن الوطني والإسلامي مع قضايا الأمة العادلة - من مثل القدس وفلسطين - وبين التعصب القبلي في الأمور السلبية ، ولو أنهم فقهوا حتى كلام الحداثة عن « المجتمع المدني » لرأوا في « العشيرة » مؤسسة طبيعية من أفضل مؤسسات المجتمع المدني والأهلي في مثل البيئة السعودية ، ولكانت العشيرة مصدر فخر لهم ، لا سبة يلحقونها بآبائهم وأجدادهم وذويهم ! لكنها العمالة الحضارية ، تسلخ صاحبها من الهوية والانتماء .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !

بقي أن نقول : إن هذا الوعي بمعاني الحداثة ومخاطرها ، وبالفروق الجوهرية بين هذه « الحداثة الغربية » وبين « التجديد الإسلامي ، والتقدم والإصلاح بالإسلام » ، ذلك الذي رأينا نموذجه عند جمال الدين الأفغاني - في القرن التاسع عشر - هو الذي نراه عند علماء ومفكري اليقظة الإسلامية المعاصرة ، وكنموذج لهم المفكر الإصلاحي الدكتور محمد خاتمي - رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران - والذي كتب في تعريف هذه « الحداثة الغربية » كلامًا نفيسًا ودقيقًا قال فيه : « **إن الحداثة لفظ يراد به التحولات التي جرت في الغرب في العصر الأخير من تاريخ الإنسان ، وبالتالي يمكن القول ، بتعبير أدق ، إن الحداثة هي الثقافة التي تتمحور حول الإنسان ، في مقابل ثقافتنا التي تتمحور حول الله .. فالحداثة هي روح الحضارة الغربية ، المنسجمة معها ، والمختلفة والمتباينة مع ثقافتنا الإسلامية ومع ثقافة**

الغرب القروسطية . لقد كانت ثقافة العالم الإسلامي وثقافة الغرب القروسطية ، على نحو ما ، نَوْعَي جنس واحد ، إن لم نقل إنهما صنفان لنوع واحد ، وكان أبرز وجوه الشبه بينهما هو محورية الله في فكر الإنسان واعتقاده وفي نظامه الفكري والأخلاقي والعاطفي ، ولقد حارب الغرب ثقافة القروسطية هذه ، وكان من نتيجة حربه عليها ظهور حضارته الحديثة وثقافته الحديثة التي تبوأ الإنسان سدة المحورية فيها ، فكان ذلك التحول ـ من محورية الله إلى محورية الإنسان ـ أبرز وجوه الاختلاف بين ثقافتنا وتقاليدنا الثقافية وبين ثقافة الغرب وحضارته الحديثة .. » [١] .

هكذا يجب أن لا تختلط الأوراق بين :

ـ **الإسلام** ، الذي جاء ليحرر الإنسان من الإصر والأغلال ، ومن هيمنة كل الطواغيت ـ ومنها طاغوت الهيمنة الأمريكية المعاصرة .

ـ **والحداثة الغربية** ، التي تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الدين ، والتي يريدون فرضها على الإسلام ؛ حتى يفرغوه من محتوياته الدينية ، بل وينزعوا أسلحة مقاومته للطواغيت ، فلا يبقى منه سوى تمتمات في الشعائر والعبادات .

تم الكتاب بحمد الله

---

(١) محمد خاتمي . الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية . تقديم محمد عمارة .ـ القاهرة ، ١٩٩٩ . ص ص ٤١ ـ ٤٩